

Abbas Mahmoud Al-Aqqad

# يُوميات



## كلمة في العنوان

تضم هذه المجموعة محصل من عشر سنوات من التعليقات التي نشرت تحت عنوان اليوميات بصحيفة «الأخبار» اليومية ، ومعها تعليقات فضول أخرى نشرت في هذه الصحيفة وفي غيرها من الصحف أو المجالات بمختلف العناوين .

وتتسم الكتابات التي احتوتها هذه المجموعة بالسمات التي يدل عليها عنوانها : اليوميات والصحفيات : وهي امتداد المجال ، وتجدد المناسبات ، وسهولة التناول ، وسرعة المساجلة في حينها بين النقد والرد ، أو بين السؤال والجواب .

ولا يفهم من عنوان اليوميات أنها بنت يومها أو بنت ساعتها ، إنما يفهم منه أن مناسباتها العارضة قد تكون بنت يومها - بل بنت ساعتها ولحظتها - ولكنها مجرد مناسبات عارضة للكلام في موضوع غير عارض ، أو غير موقوت بزمن من الأزمان في معظم الأحيان .

وقد تيسر تقسيم بعضها حسب موضوعاته الشاملة ، ولكنها في جملتها تتأثر على التقسيم والتوزيع ، لأن الاستطراد الذي لا مناص منه في الموضوعات المتنقلة كثيراً ما يجمع في اليومية الواحدة كلاماً يصلح لإلخاقه بباب العقائد والمذاهب كما يصلح لإلخاقه بباب التراجم والشخصيات ، مع التطرق من هنا وهناك إلى مسائل الاجتماع والأخلاق أو مسائل الآداب والفنون ، وقد يعني عن حصرها في الأبواب المحدودة أن تتبع في ختام الكتاب بفهرس للأعلام والباحث يدل على مواضعها من الصفحات ، ولا حاجة معه إلى مراعاة التسلسل في ترتيب الأيام .

على أن المجموعة كلها قد تلحق بباب واحد من أبواب التأليف القديم والحديث ، بل هو الأصل في كلمة التأليف التي تعنى جمع الشوارد ونقلها من الوحشة المتباude إلى الألفة المتقاربة . ثم انتقل هذا الباب في العصر الحديث بعنوان واسع يسلك فيه أشتات الرسائل والمذكرات واليوميات الخاصة أو اليوميات العامة ، منها هذه اليوميات التي كتبت من قبل ، وجمعت اليوم ، بإذن واقتراح من أصحابنا القراء .

عباس محمود العقاد

## الأدباء بين جيل وجيل.

من جيل إلى جيل

كم يبقى من حقائق التاريخ من جيل إلى جيل ؟

بل كم يبقى من حقائقه في الجيل الواحد ، بين المعلوم والجهول ، وبين المأثور والمستغرب ، وبين حسن النية ، والنية التي تسوء وتسيء ثم تصر على السوء والإساءة ؟

قصاراناً بعد كل مقال وكل سكتون أن نقول : ويل من التاريخ ما أظلمه ! أو نقول ويل للتاريخ ما أثقل الظلم عليه !

جاشتني بعد مقال الأسبوع الماضي رسائل مختلفة سيطلع القارئ عليها وعلى تعقيباتها ، ثم يرى فيها مصداقاً جديداً لاعتقاد المعتقدين أن تحيص التاريخ في أصغر المسائل من أصعب الصعب ، ودع عنك مسائله الكبار .

\* \* \*

### الأدباء والسياسة السرية

إحدى تلك الرسائل رسالة ذات شعبتين من طالب جامعي ، يستغرب في أولها ما ذكرناه عن علاقة أدباء الجيل الماضي بالسياسة السرية وعن مبلغ شأنها في تقدير أعمال الجيل كله ويسألنا : لم لم يكتب عنها شيء حتى الآن ما دامت بتلك الأهمية ؟ ولم لا نكتب نحن ما نعلم عنها ؟

والذى يستغربه الطالب الجامعى كان هو المأثور والشائع بين الأدباء النابئين فى ذلك الجيل ، فلم يكن فيه أديب واحد لا يتصل بقصر عابدين أو قصر الديوبارة فى القاهرة أو بقصر يلدز والمابين فى الأستانة ، ولم يشد عن هذه القاعدة من طبقته وجيله غير حافظ إبراهيم لأنه لم يكن من ذوى الجلد على الأسرار والتناولات .

على أن حافظاً نفسه قد أدخلته تلك المناورات فى حياثتها على غير مشيئة منه ، فسمى بعضهم فى ترويجه بقلب شاعر الخلافة من قبل السلطان عبد الحميد

• أخبار اليوم : ١٢٥ / ١٢٥ .

الثانى ، وقامت القيامة هنا حتى احتال من يعنفهم الأمر على حرمانه من اللقب المنتظر ، ودسوا عليه من يغريه بهجاء السيد «أبي الهدى الصيادى» ندم عبد الحميد .. فانقطع الرجاء فى تلقىيه بذلك اللقب الفخم الذى يتضاءل عنده لقب شاعر الأمير .

ولا يستصحرن الطالب الجامعى خطر تلك المناورات التى طالما اشترك فيها أصحاب الأقلام من الأدباء والصحفيين ، فالحق أن تاريخ الجيل كله يتوقف على الإسلام بها ، ولسنا نعرف شهراً واحدة لا يتغير تقدير الناس لها إذا اكتشفت السمار عن تلك الأسرار ، ومنها شهرة أناس يحسبون فى الطليعة بين أبطال الوطنية وتهبط بهم علاقاتهم تلك إلى ما دون أقدارهم المزومة بكثير .

أما أن المؤرخين المعاصرين لم يكتبوا شيئاً عنها مع أهميتها فسببه واضح : وهو أنها أسرار يعنى أصحاب الدولة القائمة يومئذ بكتمانها .

وأما إننا نحن نكتب عنها فذلك ما ننويه ولا نحجم عنه كلما عرضت لنا مناسبة من مناسباته .

والشعبة الثانية من سؤال الطالب الجامعى عن معنى قول السيد البكري للخديو عباس الثاني إنتى وزير مثلك ؟

ونحن نحيل الطالب على تاريخ تلك الفترة . ويكفى فى هذا السياق أن نذكر له أن خديو مصر كان معدوداً من وزراء السلطان العثمانى فى الأستانة ، وأنهم كانوا إلى عهد الخديو عباس يقعون فى مشكلة من مشكلات المراسم كلما اتفق وجوده فى الأستانة يوماً من أيام الأعياد . فيحار رئيس الديوان المأبىنى فى وضعه قبل الصدر الأعظم رئيس الوزراء أو بعده فى مراتب التشريفات .

\* \* \*

### ونحن فيها

نعم ونحن فيها ، والضمير عائد على كل مسألة تتعلق بتصحيح التاريخ فى الأدب أو السياسة ، وفي الحاضر أو الماضى ، وهى هنا تتعلق بنسبة بيتنى من الزجل إلى قائل غير متفق عليه روى فى الأسبوع الماضى نادرة لخفى ناصف مع حمد الباسل حين زارهم على غير موعد فحضرهم فى وليمة وقال حمد بيتنى من الزجل فرد عليه حفى مثيراً إلى طربوشة المغاربة وهو يقول : «معلوم أدباتى !» .

يقول الأديب مصطفى الصباحى تعليقاً على هذه النادرة فى خطاب أرسله إلى :

وأقل ما في المناسبة كلها أنها مثال للاختلاف على الروايات والأسانيد الأدبية  
في مدى جيل أو جيلين.

### سحاب من عباب

أما صاحب الخطاب الذي وقعت به أيامه «م. سلام» فجوابي الموجز على سؤاله الأول أنني لا أحفظ الكثير من نوادر حفني لأنني كنت أتلقي أخباره على السمع وما سمعته غير ما ذكرته في مقال الأسبوع الماضي يبدو لنا تنوع المناسبات وتعدد مصادرها.

فقد سمعت من أديب قنائى إحدى هذه النوادر الكثيرة، وكان حفني قد انتقل إليها قاصياً كما جاء في قصidته المشهورة :

قالوا نقلت إلى قنا يا مرحببا بقنا واستنا  
حدثنى الأديب القنائى قال : إن القاضى الشاعر كان مقلا على ديوان المحكمة  
يوماً فاعتربه صاحب قضية من الفلاحين الذين يتربصون على أبواب المحاكم بكل  
قادم فى زى الأفندي ويسحبونه قادرا على التوسط لهم فى أمر من أمرهم عند  
الكتاب والحضرىن فما هو إلا أن بصر يحفنى بك داخلا حتى هرول إليه قائلا :  
أنا لي دعوى ..

فأجابه حفني وهو يهرول مثله ما استطاع «أنا ماليش دعوى» !

وحدثنى أحد أبناءه أن أباه ضربه وهو صغير فخرج يعدو إلى الشارع ونادى له بأول شرطى ، فلما خرج حفني للشرطى وهو يدق الباب دقاً شديداً سأله ما الخبر ؟  
قال : الخبر يا سعادة البك أن هذا الولد جاءنى وهو يبكي وقال لي إن فى هذا  
البيت رجلاً كبيراً ضربه واختفى .

فأجابه حفني كالمتهم المنكر : لا والله يا سعادة الجاويش .. «هو اللي ضربنى  
وحرى ..» .

وحدثنى أديب قاهرى أن جماعة تبادلوا الرأى فى فن الإلقاء أمام حفني  
وتحمس أحدهم للفن الجديد فاقتصرح أن يستعين به بحفظ القرآن الكريم فى تلاوته  
حسب المعنى .

وسأله حفني : كيف يكون تطبيقه فى التلاوة ؟

قال الأديب المتحمس للفن : بتوصير المعنى وتقديره !

قال حفني : إذن تريننا أنت مثلاً لذلك فى قوله تعالى : « .. ورادته التى هو

.. إن حمد الباسل باشا حين وجه إلى حفني بك هذا الكلام إنما كان متمثلا  
به ولم يكن هو من شئه ..

قال : «ولهذا قصة طويلة خلاصتها أن محمود باشا شكري كان رئيساً لمحكمة طنطا وأولم وليمة لقضائه محيكته دعا إليها حفني بك - وكان يومئذ قاصياً لمحكمة طهطا . وكان اجتماع المدعون فى منظرة مجاورة للباب الكبير بمنزل الباسل ، فلما صعدوا إلى غرفة الطعام دخل أحد اللصوص يسرق عصيهم ومظلاتهم وعباءاتهم ، ولما عرفوا أمر السرقة أبلغوا البوليس وصادف أن كان البوليس قد ضبط السارق يعرض ما سرق للبيع ومنه عصا عليها اسم حفني بك فردت المسروقات إلى أصحابها» .

«ثم عرف هذه القصة محمد باشا صدقى وكان يشغل وظيفة مأمور تفالييس وكان صديقاً لحفني بك وبينهما مناجلات زجلية غایة فى الظرف والطراوة ويوقع أزجاله مكتنا : «محمد صدقى زجال جلاله حفني ناصف خان» .. وقد بعث إلى حفني بك لهذه المناسبة زجاجاً طويلاً لا ذكره كله جاء فيه هذان البيتان اللذان قشل بهما حمد باشا وأشار فيه إلى اجتماع قضية محكمة طنطا وطهطا والسنطة فقال :

جمع محاكم حرف الطام طنطا وطهطا والسنطة

ورد عليه حفني بك بزجل باع تجلت فيه الفكاهة على مذهب الظريف بقوله :

منى لسميد الزجاله الغين سلام فوقهم بوسه  
مالوش نظير فى الرجاله يخلق من «الهاب يك» دوسه  
بلى أن قال :

كانون سعادتك زرع والتلنج فوقه للسره  
مفيش نفر واحد يطلع يقول أكل عندك مره

إلى آخر ما قالا . وإنى لأرجو أن أعاشر على هاتين الطرفتين فأتشرف بموافاتك  
بهم ..» .

هذا هو فحوى رسالة الأستاذ الصباحى ، وإنى مع شكري على تعليقه أرجح أن  
هناك مناسبتين مختلفتين ، وأن البيتين كما رواهما حمد الباسل رحمة الله أقرب  
إلى موضع الاستشهاد ، لأن هذه الرواية تفسر لنا وصول حفني على غير موعد كما  
تفسر لنا تعريفيه بالأدبى فى رده على حمد ..

## من أسرار التاريخ والأدب

### الكتاب الأسود

أما قضية الكتاب الأسود فقد كان الباعث عليها تمثيل رواية «شلومة» التي مثلت في باريس وبرلين قبل أن تتمثل في البلاد الإنجليزية ، وكان تمثيلها محظوظاً على المسارح العامة فمثلتها جماعة المسرح المخصوص وقصرت حضورها على المشتركين في الجماعة .

و هنا انبىء بمبرتون Pemberton عضو مجلس التواب وصاحب صحيفة «الساهر» فحمل على هذه الجماعة وقال إنهم فئة من سبعة وأربعين ألفاً موصومين بالشذوذ الجنسي ومتبنين في المراكز وفي دوائر المجتمع على اختلافها ، وأسمائهم جميعاً محصورة في سجل محفوظ عند إدارة المخابرات الألمانية يستخدمونه في التهديد والاطلاع على الأسرار ، وخاف بمبرتون بحملته فتاة راقصة مشتركة في جماعة المسرح المخصوص ، تتطلع لتمثيل دور شلومة وتستبيغ في تمثيله ما لا يستباح على المسارح الإنجليزية .

ثم ساقته هذه الفتاة إلى المحكمة ، ودافع بمبرتون عن نفسه فدل على نسخة الكتاب الأسود التي وصلت أخبارها إليه ، وزعم أنها منقوله من الكتاب الأصيل وموعدة عند الأمير ولIAM فيد Vied الألباني الذي كان ملكاً لألبانيا أثناء الحرب العالمية الأولى .

وأخطر ما في القضية أن بمبرتون جاء بشهوده الذين اطلعوا على الكتاب إلى المحكمة فذكروا بعض الأسماء التي اطلعوا عليها في الكتاب ومنها اسم القاضي دارلينج Darling الجالس لحاكمته ، وأسماء أناس من الوزراء والقادة .

ولما وصل الشاهد إلى سرد الأسماء قاطعه القاضي وأمره بالسكت و قال له في حدة وغضب : «إنني لم أعتراض أقل اعتراض على تصريحك باسمى في هذا الصدد . ولكنني أصر على حماية الغائبين عن الجلسة» .

\* أخبار اليوم : ٢٠/٢/١٩٥٤ .

في بيته عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هي لك ..

وسمعت عن الشيخ عبد العزيز البشري رحمه الله نادرة تروى له مع الفريق إبراهيم فتحى حيث قال له الفريق : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار ، فذكره البشري بقوله تعالى :

«فريق في الجنة وفريق في السعير».

سأله البشري عن هذه القصة فلم يثبتها ولم ينكرها ، ولكنه استطرد منها قائلاً : إن حفني ناصف هو السابق إلى جواب من هذا الباب .. وقال له بعضهم قاض في الجنة وقاضيان في النار ، فقال : «ولنا صاف هو الذي في الجنة !» .

وكانت هذه النكتة في الجمع اللغوي مثاراً للخلاف على فعل «نصف» الثلاثي وفعل «أنصف» الرباعي هل يتقاربان في المعنى ؟ فتبين أن اللغوي العتيق رحمه الله لم يكن بعيداً من الصواب .

ومن نكاته التي تشوق طرقها في مقام الحداد أنه سئل تاريخاً شعرياً يكتب على قبر عزيان بك فنظم هذين البيتین :

لقد هو في أفق هذا المكان  
عريان أصحي في ثياب الخنان

١٨٨

إن هذه النوادر لا تضيف محسولاً كبيراً إلى الذخيرة الحفنية إذ تيسر جمعها من مختلف مصادرها . ولكنها قد تشير بتعدد مناسباتها من عباب .

أما جواب السؤال الأخير من الرسالة - وهو تعليل ملحة الفكاهة عند حفني ونظرائه - فهو شرح يطول - وخلالصته في كلمات أنها ملحة لا غنى فيها عن الذكاء وعن المزاج ، وأنها تنموا بالإضافة إلى ذلك مع مفارقات الحياة ، لأن النكتة في جوهرها إنما هي التفات إلى المفارقات .

ولقد كانت حياة حفني كلها مفارقة تنتهي إلى مفارقة أعجب منها ، هل يعلم القارئ مثلاً أن حفني ناصف كان في أول عهده بالتدريس معلماً للحرس والبكم والعميان ؟ أما إنه بدأ سيرته من رجال شريعة وختتمها بين القضاء الأهلي وأستاذية الجامعة فهو معلوم ..

قال فيما قال «وقامت معركة عنيفة بين الأستاذين الكبيرين عبد القادر حمزة في البلاغ ومحمد توفيق ديبا في الجهاد».

ونسى أن يقول : «وكان الأستاذ الشناوى يتناول التلفون ليتحدث لحظة إلى الأستاذ أنطون الجميل فى الأهرام ويتحدث بعدها لحظة إلى الأستاذ ديبا ويتحدث بعدهما أو قبلهما إلى الأستاذ عبد القادر حمزة . ويعمل جهده فى هذه المحادثات الغنية للتهذنة والتوضيح واستدراج حفى محمود رحمه الله إلى الوساطة بين الخصوم ، وأنه نسى فى جميع هذه المحادثات أن يذكر اسمه مستترًا باسماء غيره وغيرهم ، وبمبالغة فى التواضع ونكران الذات ..

وهي حصة ينساها الأستاذ الشناوى ولا يصح أن ينساها التاريخ .

وعلى فكرة ..

نعم على فكرة لا تنسى أيضاً كلما ذكرت عجائب المصادرات ، وينبغي أن تذكرها لنذكر دائمًا أن المصادفة تأتى بالخوارق فى كثير من المناسبات .

إن الأستاذ الشناوى يكتفى يومية الثلاثاء عن الحروب القلمية فيقول فيها ما قال عن حرب البلاغ والجهاد .

ثم يكتب بعدها على الأثير يومية الأربعاء عن تشابه الأصوات ..

فيالعجب .. هل لتشابه الأصوات يد فى أحدى هذه المناسبات ؟ ..

الله أعلم ، ومن الناس من يعلمون وينسيهم التواضع نصيبهم المأثور فيما يكتوبون .

ودعى للشهادة فى هذه القضية لورد أقربي دوجلاس عشيق أوسكار وايلد الذى كان يوماً من الأيام موظفاً بالوكالة البريطانية فى القاهرة ، فسئل عن ترجمته للمسرحية من الفرنسية إلى الإنجليزية فكانت شهادته وتعقيبات المعقبين عليها وصمة لا حاجة بنا إلى تفصيلها . ولكنها هي وما شابهاها مما هو أقدر من كل مجنونيات أبي نواس مدونة فى تقارير النمسانيين وبعضهم علماء مختصون يرتفعون بنسبة الشواذ فى المائة نفسها - حيث يحفظ الكتاب الأسود - إلى أكثر من عشرة فى كل مائة ، ويردد فى هذه التقارير أسماء غلوب وبيلوف وطافقة من زعماء النازيين .

وقد سئل المخلفون عن رأيهم فى بمبرتون هل هو مذنب أو غير مذنب فاتفقوا بعد اجتماع قصير على أنه غير مذنب . واضطر القاضى دارلينج إلى إعلان براءته . وهي براءة لا يخفى ما تدل عليه .

ثيم عاش بمبرتون إلى أن توفي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بستين . قعاد الحديث عن القضية لهذه المناسبة وضمنها مونتجمرى هيد من رجال القانون والبرلمان كتاباً خاصاً عن القضايا التى غيرت القانون .

فليست فضائح لندن وبرلين وباريس ونيويورك بأهون من فضائح بغداد . وليس الراقصون بالليل والنهار يشرفون لا يرقصون ، وليس إحصاء الكتاب الأسود فى عاصمة واحدة بأقل من إحصاء الديوان النواصى وما احتواه من القصائد والأبيات . وتهميشهات .

وننتقل إلى الهاشم فنقول «أولاً» إنها سواء كانت حرباً أو غير حرب فماذا يضير الأستاذ سلامه منها ؟ .. إنه خلائق أن يوقن بالتطوع لمؤازرته من أولئك الذين يعنفهم العقاد جداً ، أو يعنفهم جداً جداً ، فيقولون الأرض كلما قال السماء ، ويقولون يسار كلما قال اليمين ، ويقولون لعنه الله كلما قال حباه الله !

وواحد منهم على ما نظن يخصنا بعناته فى اختبار الصور .. ونظمته على ذخирته فتوكل له أن عندنا صوراً لنا نحفظها «أشوه» من كل صورة فى يديه . فإذا نفذت الصور التى عنده فلا يخف ولا يحزن . فإن الصور التى عندنا فى الخدمة حين شاء أونقول «ثانياً» بعد انتقالنا إلى الهاشم أن صديقنا الأستاذ الشناوى يتواضع حين يذكر المعارك القلمية وينسى حصته المباركة فيها .

## كانت \*

فاتنا أن نشهد الحفل الذى أقيم فى القاهرة تخيبة لذكرى الفيلسوف العظيم عمانوئيل كانت لانقضاء مائة وخمسين سنة على وفاته . ولكن لا يفوتنا أن نشكر الدكتور عثمان أمين لقيامه عن أدباء مصر بهذا الواجب وسداد هذا الدين وهو دين يستحقه الفيلسوف فى ذمة كل شرقى على الحصوص وكل مناهض لزبانية الطغيان والاستعمار .

واما يعزينا عن هذا السهو - فى هذه الذكرى الأخيرة - أتنا سبقنا الدكتور عثمان أمين إلى قضاء هذا الدين بثلاثين سنة ، ولعلنا انفردنا يومئذ بتحية الفيلسوف العظيم فى هذه الديار ، فكتبتنا عنه فصلين لانقضاء مائتى سنة على مولده سنة ١٧٢٤ وسرنا يومئذ أن يطلع عليهما الدكتور جرمانوس المستشرق المجرى فيقول : «إنه يتكلم الألمانية منذ صباح وإن يقرأ (كانت) ويقرأ شراحه باللغة الألمانية ، ولكنه لم يفهم (كانت) بتلك اللغة كما فهمه من ذينك المقالين باللغة العربية ..» .

## سابق لأوانه وفي أوانه

وخير ما يذكر به فيلسوف العصور الحديثة الأكبر أنه نشأ في القرن الثامن عشر ولا يزال سابقاً لأوانه في القرن العشرين ونحسب أنه سيظل سابقاً لأوانه عدة قرون .

ويقال ذلك عنه في المحسوسات كما يقال في المعقولات ، فإنه قرر مكان السيارات الشمسية التي كشفت بعد تقدم التلسكوب وهو لا يعود على شيء غير التقدير المضبوط والحساب الدقيق .

ويظهر فضلته في هذه القطنة النافذة متى علمنا أن الفيلسوف هيجل خليفته في الشهرة العالمية ، والذي ولد بعده بحوالي أربعين سنة ، قد سخر من علماء الفلك

\* أخبار قيم : ١٩٥٤/٢/٢٠ .

لأنهم يبحثون عن سيارة ثامنة . . . قال : ولو أنهم نظروا في مباحث الفلسفة بعض نظرهم في مباحث علم الهيئة لوضح لهم أن السيارات سبع ، ولا يمكن أن تكون أكثر من سبع ، ولا أقل من سبع بأى حساب .

ولم يكدر كتابه الذى يقرر فيه هذه البديهية على زعمه يظهر وينتشر بين المؤمنين به ، ومتهم كارل ماركس ، حتى أعلنت المراسد الفلكية ظهور سيارة ثامنة وانتظار سيارات أخرى لم يبلغها الرصد إلى ذلك الحين . . .

إن دقة «كانت» في هذه المحسosas تجاريها ، بل تسبقها ، دقة في المعقولات ، ومنها قضية الاستعمار وقضية السلام .

فقد كان الاستعمار يومئذ يخطو في الشرق والغرب خطواته الأولى ، وكان الحكيم يتطيّب من عواقبه على السلام العالمي وينبئ الناس بالحروب الكثيرة والثورات الجائحة التي تهددهم من جراء مطامع المستعمرين ، وكان اعتقاده الذي أعلنه في بروسيا ولم يحضر عواقبه أن القضاء على الاستعمار مررهن بقيام الحكومات الجمهورية التي لا تستغل جهود الأكثرين لإشعاع نهمة الأقلين .

## مبازة بسلاح البرهان

وعلى رصاته الراجحة كان أصحابه يعلمون أن إثارة موضوع الاستعمار كافية لاستدراجه إلى الكلام والإفاضة في الشرح والتعليق ولو في الطريق .

فاتفاق يوماً في حقيقة عامة أن أناساً من أصحابه استوقفوه وفتحوا معه موضوع الحرب بين بريطانيا العظمى والشوار الأمريكيين ، فنسى نفسه وحمل على الدولة البريطانية حملة شعواء وانتصر لكل أمة من أمّ الشرق والغرب تطبع فيها دول الاستعمار .

وإنه لينتطلق في هذه الحملة العنيفة إذا برجل قوى يتحدى أمامه ويدعوه إلى المبارزة .

وسائل الفيلسوف : ولم يا صاح ؟

قال الرجل " لأنى إنجليزى ، وأنت منذ ساعة تهين بلادي على مسمع من هؤلاء " .  
ولا ننسى أن الفيلسوف الذى كان يقتحم الأخطار الكبار بشجاعته الأدبية لم تكن له قدرة بهذه القدرة في مبارزات السلاح ، ولم يعرف السلاح فقط في حياته

حين قال إن عامة القراء وحدهم هم الذين لا يفهمونه .. وإنه ليعلم أن صديقه «هرتز» من طبقة المفكرين قد أعاد إليه كتابه قبل أن يتممه ، وقال إنه يعيده إليه قبل أن يذهب به إلى المارستان !

أما اعتذار فرنسيس باكون فقد كان تحفة أخرى من تحف الاعتذار الغريبة لأن هذا الفيلسوف - إمام الفلسفة التجريبية - كان كبيراً للقصاصة فاتهم بالرشوة فلم ينكرها ، ولكنه قال إنه يتقبل الهدايا من الخصمين ليقاوم الزيف والانحراف ويضطر إلى الحكم بينهما بالإنصاف !

ولم تكن توبية نصوحأً من جانب رسول السلام والمسلمة ، فقد عاد إلى الكتابة عن الشورات والأخلاق فلم يقلع عنها إلا وقد علت به السن وأطبق الخوف على ذلك الدماغ الضخم ووعد الحياة وهو لا يعلم أنه يودعها ويستقبل ما وراءها ، ومن سخرية المقادير أن ذلك الرأس القوى الذي حاول أن يحيط بما بعد الحياة والموت ، قد مات وهو لا يعلم أنه يموت !

/

التي قضاها بين المعاهد والمكتبات . وكان هذا المارد الفكري قزماً لا تزيد قامته على خمس أقدام ، وقلما تقوى رجلة على حمله برأسه الكبير .

ولكته لم يتلجلج ولم يتلעם أمام دعوة المبارزة ، وقال له إنه يختار سلاحه وبيارزه سلاح البرهان .. لأنه هو السلاح الذي وقعت به الإهانة ، أو وقع به العداوه ! وغنى عن القول أن صاحبنا قد اختار سلاحه وهو عازف بقوته فيه . فلم يلبث خصمه أن اعترف بالهزيمة وطاب له حديثه فاسترسل معه فيه . ولم يشعر بنفسه إلا وهو على مقربة من مسكن الفيلسوف . والفيلسوف يدعوه إلى زيارته ! فكانت هذه الزيارة فاتحة الصدقة الطويلة بين الخصمين .

### في أوانيه بالسنة واليوم

ومن المصادرات التي تتفق كثيراً في سير نوازير العبريين أن هذا الحكم العظيم الذي يقال عنه بحق أنه سابق لأوانه في علمه وتفكيره قد كان مرهوناً بوقت معلوم في رسالته الفكرية ، وكانت هذا الوقت المعلوم أن ينطبق على أيام عمله بالسنة واليوم ، فهو تقدم قليلاً أو تأخر قليلاً لصاع في الظلمات وذهب اسمه بين غمار النسين والجهولين .

قال شوبنهاور : «إن عمانوئيل كانت كان الجوهرة العليا في تاج فرديريك الكبير فما كالثل كاتن كان يعمل أستاذأً بمرتب من الدولة في ظل حكومة أخرى من حكومات الكورة الأرضية ثم يؤذن له بما قاله في كتبه عن الملوك . ولو أنه تقدم قليلاً أو تأخر قليلاً لما كان عندنا ذلك الشخص السمي باسم عمانوئيل كانت ، ويندر أن يكون الحكام من الرجال العظام . فإذا بلغ من عظمتهم أن يدركوا عظمة الآخرين فهم جدراء بالحمد من بني الإنسان» .

ولقد حدث فعلاً بعد موت فرديريك الكبير أن ابنه غضب على الفيلسوف ونقم عليه جرائه في آرائه ومعتقداته . ولكن الفيلسوف كان قد فرغ من أهم كتبه وأدى أمانته لتلاميذه ومربييه ، وكان قد شاخ وبلغ السبعين وأحب الإخلاص إلى الراحة ، فكف عن الكتابة المثيرة واعتذر بطرفة من طرف المعاذير لا نذكر لها نظيراً غير اعتذار فرنسيس باكون من نوع آخر ، قبل ذلك بتحم مائتى سنة .

فأمما كانت فقد كان عذرها أن كلامه غامض لا يفهمه أحد من عامة القراء فلا خوف منه عليهم ولم يكن كاتب كانت في هذا الاعتذار ، بل لعله بالغ في الاعتدال

## أرسسطو والناخب المصري

وأذكر على سبيل المثال مسألة كنت أعتمد فيها على أرسسطو وأرى الأدلة الوافرة على صوابها من تجاربنا العصرية ، وهي مسألة الناخبين واختلاف حقوق الانتخاب بين المتعلمين والمجهلاء .

إن التجارب العصرية جميعاً ثبتت رجاحة رأى الفيلسوف الكبير في حقيقة الملكة الانتخابية ، فهي مسألة بداهة وعادة وليس مسألة علم وفلسفة ، أو هي مسألة تجاوب وامتزاج بين المعلومات وليس مسألة آراء متفرقة ينفرد بها أصحابها هنا وهناك ، دون أن تصرّفها البوتقة العامة في بيضة تتخلق من بينها ويترافقون منها .

وحدث كثيراً أن بعض إخواننا في المجالس النيابية كانوا يقتربون تمييز المتعلمين بزيادة الأصوات ، أو يقتربون حرمان الأميين من الانتخاب ، فلم أكن أناقشهم برأي أرسسطو لأن الرد عليه سهل جداً على لسان العارف : وغير العارف : وهو الابتسام مع القول بأن الفلسفة شيء الواقع شيء آخر ، أو مع القول بأنها نظريات وأحلام « طربية » لا تقبل التطبيق في العصر الحديث .

ولتكنى كنت أناقشهم بالواقع المتكرر من تجارب الانتخابات بين المتعلمين وغير المتعلمين ، وكانت أضرب المثل لهم بانتخابات المحامين والمهندسين والمعلمين والأطباء في نقاباتهم ، وأسئلتهم أعتقدون حقاً أنها خير من انتخابات المجالس النيابية وبخاصة ما تقدم منها في تجاربها الأولى ؟ فكان الواقع يضطرهم إلى الاعتراف بالحقيقة ، ويقنعهم بأن العادة هنا أفعال من العلم والذكاء ، وأن المسألة الكبرى في الديمقراطيات مسألة تربية خاصة وليس مسألة العلم الغزير والثقافة العالية ، إلا أن تكون من قبيل الثقاقة التي تسري بالقدوة والعدوى وعلى غير قصد في كثير من الأحيان .

### الديمقراطية الصحيحة

ليس هذا كل ما يقال عن خطأ القائلين بحرمان الأميين حق الانتخاب فإن الأميين إذا كانوا في الأمة قلة لا تزيد على خمسة أو عشرة في المائة فمن الجائز حرمانهم مع المحافظة على قواعد الديمقراطية ، لأن رأى تسعين في المائة مقدم على رأى العشرة الباقية ، ولا يدخل بالحرية الديمقراطية أن يتغلب حكم الأكثرين على حكم الأقلين .

## الناخب المصري وفلسفة أرسسطو .. \*

قرأت في هذا الأسبوع الكتاب الأول من «تطور الفكر السياسي» الذي ألفه الدكتور جورج هولاند ساباين وترجمه الأستاذ حسن جلال الروسي ، وتحصي العلامة السنوري في مقدمته البليغة بكلمات إذ قال : «إن الحكم الصالح لا تلمسه فلسفة الإغريق في الحكم المطلق للفيلسوف ولكن تنشده في مبدأ سيادة القانون» .

من كان في شك من الحكمة السائرة التي تقول : «إن الإنسان إنسان حيث كان» .. أو كان في شك من قول القائلين «إنه لا جديد تحت الشمس» فليقرأ هذا الكتاب فإنه سيعرف بين ما يعرفه من دروسه الكثيرة أن مسائل الحكم والسياسة قديمة في أصولها ، وأن أنواع الحكومات وعيوبها جميعاً معروفة منذ العصور التاريخية الأولى ، وأن أفلاطون وأرسسطو ومن عاصرهم من فلاسفة اليونان لا يستغربون شيئاً لو انبعوا من الأحداث ونظروا إلى العصر الحاضر كما زرء مشكلاته ومعضلات وحلوله وأحكامه ، وتقربوا في أرجاء العالم من شرقه إلى مغربه ومن أرفع الأمم إلى أقل الشعوب والقبائل نصباً من الحضارة وشئون السياسة والحكومة .

مشكلة الحكم المطلق ، ومشكلة الحكم الشعبي ، ومشكلة التفاوت في الشروء ، ومشكلة الطبقات الحاكمة ، ومشكلة الانتخاب وأصحاب الحق فيه ، ومشكلة الفارق بين حقوق الرجال وحقوق النساء ، ومشكلة الملكية والشيوعية ، وغير ذلك من المشكلات التي نقرأ أخبارها في صحفة اليوم هي هي هذه المشكلات التي يعرضها الكتاب إذ يعرض لنا آراء أفلاطون وأرسسطو ويلم بما سبقها من آراء الإغريق والفرس التي لم يتغير منها إلا اتساع النطاق . وظهور الجسد القديم في ثوب جديد .

ومن المفيد للعقل الإنساني دائماً أن يعرف أصله المسائل التي يعالجها أو يفكـرـ فيها ، فإنه يفهمها خطأ ولا ريب إن فهم أنها بنت اليوم وأنها شيء لم يسبق له مثيل في الجملة والتفصيل .

\* أخبار يوم ١٩٥٤/٤/٣ .

في القطر كله ، بحيث يصلق القول على كل نائب وصل إلى المجلس أنه أحق  
أبناء إقليمه بالنيابة عنه في تلك الأحوال .

### وفي الجمعية التشريعية

وتنتقل إلى انتخابات الجمعية التشريعية منذ أربعين سنة ، فإن وقائعها  
مذكورة بتفاصيلها وعواملها الخفية والظاهرة ولا سيما دوائر القاهرة والإسكندرية .  
إن الناخب المصري قد قاوم من الصنفط عليه في هذه الانتخابات ما يندى أن  
يقاومه ناخب في قطر من أقطار الحياة النيابية العربية .

كان الخديو عباس ورئيس الوزراء محمد سعيد باشا والمندوب البريطاني لورد  
كتشنر يحاربون سعد زغلول ويعلمون جهدهم أن يحولوا بينه وبين الوصول إلى  
الجمعية التشريعية .

وقف هؤلاء جميعاً في جانب وقف الناخب المصري في الجانب الآخر ،  
فانهزموا جملة ونجح سعد زغلول في دائرين مما الإمام ودائرة السيدة زينب .  
وكانت هناك قوة أخرى إلى جانب القوى التي تضافرت على مقاومة سعد في  
كل من الدائرين .

كان المرشح أمامه رجال له صفة دينية في دائنته وهي مشيخة الإمامين ، وكان  
الناس يذكرون حملات « ظلموك يا سعد » التي كان الشيخ عبد العزيز جاويش  
يكتبها في اللواء لسان الحزب الوطني يومذاك ، فاستطاع الناخب المصري أن يحكم  
حكمه بين هذه العوامل المتألبة عليه ، وكان آية في صدق البداهة الاجتماعية  
وأمانة الضمير الوطني ، قبل أن يكون للجمعية التشريعية شأن في ميدان الوطنية .

وما يذكر من مفاخر تلك الانتخابات أن رجلاً « كواه » من سكان المنشية عرضوا  
عليه جنيهين ثمناً لصوته ، وكان الجنيه في ذلك الحين بقيمة عشرة جنيهات على  
الأقل في الوقت الحاضر ، فردهما وطرد المسماوم له من دكانه شر طردة ... ثم  
اتصل الخبر بسعد من بعض مريديه فأبانت نغوتة إلا أن يذهب إلى دكان الرجل في  
جمع من كبار صحبه ، ثم حيّاه ووجه إليه الخطاب كأنه يحيي أميراً مالكا في  
حشد عظيم .

ولقد بذل خصوم سعد كل طاقاتهم في تلك الأيام لصرف الناخبين عن  
وتحويلهم إلى مزاحميء ، إلا وسيلة واحدة لم يستخدموها والشهادة للحق ... تلك

لكن الأممية في الشرق هي الكثرة الغالبة ، وليس من الحرية الديمقراطية في  
شيء أن تجرد أربعة أخماس الأمة من الحقوق وأنت تفرض عليهم الواجبات وأن  
تعملهم مهمة الدفاع عن الوطن وأداء الضريبة ومعاملتهم معاملة الأجانب الغرباء  
 أيام الانتخاب .

هذا إلى ملاحظة لابد من الالتفات إليها في هذا الصدد ، وهي سبب حرمان  
الأمين حق الانتخاب في بعض الأتم ولا سيما الأمريكية ، فإنه هنالك حيلة  
يقصد بها حرمان الهند الحمر والزواج حقوق المساواة دون التعرض لتهمة التمييز  
بين الأجناس ، وليس هذه الحيلة مما يجوز بين أبناء الوطن الواحد والجنس الواحد  
والصفة القومية الواحدة ، بل هي مما لا يجوز مع اختلاف الأجناس كما لا يجوز  
كل احتيال في هذا المقام .

### الواقع قبل الفلسفة

على أن الواقع من تجارب الانتخاب في مصر يثبت لنا أن « الناخب المصري »  
سيء كان من الأميين أو المتعلمين قد أدى الأمانة في مواقف كثيرة على أحسن  
وجه يراد من الناخبين في أرقى الأتم .

ولست أحب أن أصف الناخب المصري بصفة واحدة مطلقة تنطبق عليه في  
جميع الأوقات وجميع المناسبات ، ولكنني أذكر الموقف التي نعلم علم اليقين أنه  
بلغ فيها الغاية من الأمانة الانتخابية ، وبدأ من المجلس النيابي الأول قبل ثمانين  
سنة ، ونتهي إلى تجربتنا الأولى في الجمعية التشريعية ثم في البرلمان بعد إعلان  
المستور .

### قبل ثمانين سنة

رجعت إلى أسماء النواب المنتخبين بمجلسنا النيابي الأول على عهد إسماعيل ثم  
على عهد توفيق ، وكانت شروط الانتخاب يومئذ ضيقة بالغة في الضيق ، ولكنها  
على كل حال كانت عامة مطلوبة من جميع المرشحين بغير استثناء ، ولم يكن في  
وسعي أن أثبت من أحوال الانتخاب في كل إقليم فاكتفيت بالأقاليم التي أعرفها  
وأعرف الأسر والمرشحين من أبنائها ، وسألت من يعرف الأقاليم الأخرى هذه  
المعرفة ، ويستطيع من شاء أن يتقصى الأمر في بلد على هذا النحو فإن النتيجة  
التي ننتهي إليها بعد مراجعة أحوال الانتخاب جميعاً هي صحة التمثيل النيابي

ولستا نريد أن نطلق تلك البداية وصفاً عاماً للناخب المصري في جميع أوقاته وجميع حالاته ، ولكننا نقدر الواقع الذي لا شك فيه حين نروي ما حدث في تلك الانتخابات بما شهدناه وشهده غيرنا عياناً وسجلته المصادر المختلفة بالأرقام .

وقد حدث غير ذلك في الانتخابات التالية ، فلماذا تغير السلك من فترة إلى فترة خلافاً لما ينتظر من التقدم مع الزمن حقبة بعد حقبة وجيلاً بعد جيل ؟

قبل أن تعلل وتفصل علينا أن نرجع إلى الجو النفسي الذي أحاط بتلك الانتخابات ، فإنه أهم عامل من عوامل الاتجاه السياسي في الجماعات .

كان جو الانتخابات بين أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو «قضية الوطنية» بل جو الحماسة القوية لهذه القضية .

كان هذا الجو محيطاً بانتخابات المجلس الأول على عهد إسماعيل لأن الأمة كانت في حالة ثورة نفسية أمام الطغيان الأجنبي من جراء الدين والامتيازات .

وكان هذا الجو محيطاً بانتخابات جميعاً من أيام الجمعية التشريعية إلى أيام الانتخاب الأخير قبل وفاة سعد زغلول ، وانضم إليه عامل آخر لا يقل عنها قوة وصدقأً في توجيه الشعوب ، وهو عامل الزعامة المؤتّق بها بل الزعامة التي يرتفع الشعور بها من الثقة إلى الإعجاب والإيمان بقلة النظير .

\* \* \*

ثم ماذا جرى للناخب المصري ؟

ثم حدث الانفصال شيئاً فشيئاً بين جو الانتخاب وجو الحماسة الوطنية والزعامة المؤتّق بها أو الزعامة المحبوبة .

فلم ينبع زعيم قط في هذه الفترة لأنَّ زعيم الشعب المؤتّق به لخدمة القضية الوطنية ، وإنما كان النجاح يتوقف على الأمل في الوزارة المقبلة . فكان صاحب الوزارة المقبلة على الدوام هو صاحب الكثرة في الانتخاب .

وكان الناخب يغاظل سيرته كلما تحدث عن الزعامة الشعبية ، لأنَّه لا يريد أن يقول عن نفسه إنه طالب منفعة وإنَّه يسامِّ على صوته وضميره ، فإنَّ قال إنه يؤيد هذه الزعامة أو تلك فإنما يدفع التهمة التي تلصق به لو أعلن أسباب هذا التأييد ، وقد يغاظل سيرته فيتهم أو يحب أن يتهم أنَّه يدين بالمبادئ ولا يدين بالمنافع والمساومات .

وسيلة التزوير في الأوراق ، فلم يحصل قط تزوير من هذا القبيل ، ولكن وسيلة التزوير ليست مما يحسب على الناخب بایة حال .

سنة ١٩٢٤

وافتقت هذه القوى جمِيعاً على محاربة سعد وأنصاره بعد إعلان الدستور ، فلم ينفع أحد في دوائر القطر غير أنصاره ما عدا القليل الذي لا يزيد على أصحاب الدين ، وكلهم ذوو «عصبيات ، محلية» لا يزاحمها أحد في أقامه ، وام تكن الخصومة بينهم وبين سعد محور الخلاف بين الناخبين .

وأخفق رئيس الوزراء نفسه «يحيى باشا» في دائته ، وأخفق أذناب الخاصة الملكية في دوائرهم القليلة ، وغلبت إرادة الناخب المصري كل إرادة في ذلك العراق العنيف .

لا بل تجدد الانتخاب وأعلن أصحاب السلطان أنَّ سعداً لن يعود إلى الوزارة ، وقد كان الانتخاب على درجتين : درجة لانتخاب المندوب عن كل ثلاثين ناخباً ، ودرجة لانتخاب العضو بمجلس النواب . فاجتهد عمال المحافظة قصارى جهدهم لإسقاط سعد في دائرة المندوبين فنجحوا لأنهم فرقوا الأسماء ذات اليمين وذات اليسار في كل اتجاه ، ولكن الجهود كلها بحبط دون إسقاطه ، وإسقاط الكثرة من أنصاره ، فجاء مجلس النواب وفيه مائة وخمسة وعشرون من أنصار سعد ، ولم يزد عدد الفريق الآخر على الثمانين موزعين بين الحكوميين والاحتلاليين .

ثم تعطلت الحياة النيابية أكثر من سنة ، وأنشئ حزب الاتحاد بسلطان القصر فانتشر إلى المترافقون في كل إقليم ، ثم حان الموعد لكتابه دفاتر الانتخاب على حسب القانون الجديد فأصرّب العمد عن تنفيذ القانون ، وسيقوا إلى القضاء فخرج الكثيرون منهم بغير جراء .

بداهة أرسطو

إلى هنا يحق لنا أن نقول إنَّ الانتخابات المصرية حتى سنة ١٩٢٧ قد أسفرت عن تلك البداية التي يخلصها صاحب الكتاب عن أرسطو فيقول : «إنَّ الحكم الجماعية لشعب من الشعوب أسمى حتى من حكمَة أعقل المُشروعين ... فالآفراز في خضم الجماعة يكمل بعضهم بعضاً بصورة فريدة . تلك بآن يفهم أحدهم جزءاً من مسألة ويفهم الآخر جزءاً آخر ، فيحيطون في مجموعهم بالموضوع كله» .

المشاركة الفعلية في الحياة العامة دون تمييز يرجع إلى ثروة أو جاه ، كما يعطي لكل ذي كفاية مجالاً طبيعياً هنـىـاً للعمل والازدهار ، يمكن القول إلى حد كبير بأنه ربما لا يوجد مجتمع آخر نجح في تحقيق هذا المثل الأعلى مثلما نجح المجتمع الأنثـىـيـنـىـ في عهد بركلـىـسـ ، ولكنها مع ذلك كانت مثلاً عليـاً لا حقائق واقعـةـ ، والديمقراطـىـةـ في أفضل حالاتها لا تخلو من المثالـبـ .

والصحيح في التعقيـبـ علىـ هـذاـ الرأـيـ أنـ الـديـمـقـراـطـىـةـ كـثـرـةـ المـتـالـبـ ولـكـنـهاـ تـنـازـلـ منـ هـذـهـ النـاحـيـةـ بـرـيـزـةـ لـاـ توـافـرـ لـغـيرـهـاـ منـ نـظـمـ الـحـكـومـاتـ ، فـعيـوبـهاـ هـىـ عـيـوبـ الـإـنـسـانـىـ أـوـ هـىـ عـيـوبـ الـأـنـسـانـىـ الـذـيـنـ يـشـرـكـونـ فـيـهـاـ ، وـفـرقـ بـيـنـ عـيـوبـ الـنـظـامـ مـنـ حـيـثـ هـوـ نـظـامـ وـعـيـوبـ الـنـاسـ الـتـىـ لـاـ يـلـامـ عـلـىـهـاـ نـظـامـ الـحـكـمـ ولـكـنـهاـ تـرـجـعـ إـلـىـ طـبـاعـ الـمـكـوـمـينـ وـأـخـلـاقـهـمـ وـعـادـاتـهـمـ وـلـاـ أـمـلـ فـيـ صـلـاحـهـاـ بـغـيرـ التـرـبـيـةـ السـيـاسـيـةـ وـالـتـجـارـبـ الـمـتـعـاقـبـةـ وـتـكـرـارـ الـخـطاـ وـالتـصـحـيـحـ .

وـإـذـ لـاحـظـنـاـ فـيـ كـتـابـ «ـتـطـورـ الـفـكـرـ السـيـاسـيـ»ـ مـاـخـذـاـ فـإـنـاـ نـلـاحـظـ عـلـىـهـ أـنـ خـلاـ منـ الشـرـحـ الكـافـىـ لـلـتـفـرـقـةـ بـيـنـ الـدـيـمـقـراـطـىـةـ الـمـعـيـبـةـ وـالـدـيـمـقـراـطـىـةـ الـمـسـوـخـةـ التـىـ كـانـ الإـغـرـيقـ يـسـمـونـهـ «ـأـوـخـلـوكـرـاسـىـ»ـ Ochlocracyـ وـيـعـنـوـنـ بـهـاـ شـيـئـاـ قـرـيبـاـ مـنـ فـوـضـىـ الغـوغـاءـ ، وـهـذـاـ الفـارـقـ مـشـرـوـعـ فـيـ كـتـابـ الـفـكـرـ السـيـاسـيـ بـولـيـبـيـوسـ Polybiusـ الـذـيـ كـانـ أـحـقـ الـمـفـكـرـيـنـ أـنـ يـعـتـمـدـ عـلـيـهـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ ، لـاـ يـوـنـانـيـ تـرـبـيـةـ الـرـوـمـانـ وـأـحـاطـ بـتـجـارـبـ الـنـظـمـ فـلـسـفـيـاـ وـوـاقـعـيـاـ بـيـنـ الـمـدـيـنـةـ الـأـغـرـيقـيـةـ وـالـدـوـلـةـ الـرـوـمـانـيـةـ ، وـكـانـ أـدـقـ مـنـ أـفـلاـطـونـ وـأـرـسـطـوـ مـعـاـ فـيـ التـفـرـقـةـ بـيـنـ الـدـيـمـقـراـطـىـةـ الـمـعـيـبـةـ وـالـدـيـمـقـراـطـىـةـ الـمـسـوـخـةـ التـىـ تـشـبـهـ الـحـكـمـ الـمـطـلـقـ وـتـنـتـهـيـ إـلـيـهـ ، وـتـقـومـ عـلـىـ إـنـكـارـ الـإـمـتـيـازـ وـالـتـسوـيـةـ الـعـدـدـيـةـ عـلـىـ خـلـافـ الـدـيـمـقـراـطـىـةـ فـيـ صـمـيمـهـاـ وـهـوـ اـتـسـاعـهـاـ لـشـتـىـ الـمـرـاـيـاـ وـالـاعـتـرـافـ لـكـلـ مـزـيـةـ بـحـقـهـاـ وـمـكـانـهـاـ مـنـ الـجـمـعـ ، وـقـدـ كـانـ تـفـصـيلـ الـمـذـاهـبـ الـتـىـ أـتـىـ بـهـاـ بـولـيـبـيـوسـ فـيـ تـارـيـخـهـ دـوـنـ قـصـدـ إـلـىـ الـبـحـثـ الـنـظـرـيـ وـالـتـقـرـيـرـ الـفـلـسـفـيـ أـصـدـقـ بـيـانـاـ لـلـنـظـمـ الـحـكـومـيـةـ جـمـيـعـاـ فـيـ سـيـاقـ الـتـطـبـيقـ وـالـتـنـفـيـذـ مـنـ مـعـظـمـ آرـاءـ الـأـبـقـورـيـنـ وـالـكـلـيـبـيـنـ .

وـالـذـىـ يـشـكـرـ الـقـارـئـ لـلـأـسـتـاذـ الـعـرـوـسـىـ مـتـرـجـمـ الـكـتـابـ أـنـ أـحـسـ التـوـفـيقـ بـيـنـ الـدـقـةـ وـالـوـضـوـحـ وـالـأـسـلـوـبـ السـائـعـ فـيـ هـذـاـ التـرـجـمـةـ الـعـلـمـيـةـ ، وـأـنـ أـضـافـ بـهـمـاـ الـكـتـابـ الـقـيـمـ ذـخـراـ جـدـيـداـ إـلـىـ الـجـمـوعـةـ الـسـيـاسـيـةـ الـعـلـمـيـةـ التـىـ بـدـأـتـ عـنـدـنـاـ بـكـتـبـ جـسـتـافـ لـوـيـونـ وـجـونـ سـتـيـوارـتـ مـيـلـ وـسـبـنـسـ وـتـرـجـمـةـ كـتـابـ الـسـيـاسـةـ لـأـرـسـطـوـ بـقـلـمـ

ويـكـذـبـ عـلـىـ الـوـاقـعـ مـنـ يـقـولـ إـنـ النـحـاسـيـنـ أـخـفـقـوـنـ فـيـ الـاـنـتـخـابـاتـ التـىـ أـجـرـاـهـاـ مـحـمـدـ مـحـمـودـ أـوـ أـجـرـاـهـاـ أـحـمـدـ مـاهـرـ لـأـنـهـ تـعـرـضـواـ لـلـضـفـطـ وـالـإـرـهـابـ ، فـيـنـ الضـفـطـ وـالـإـرـهـابـ فـيـ هـاتـيـنـ الـمـرـتـيـنـ كـانـ أـقـلـ مـنـ كـلـ ضـفـطـ وـإـرـهـابـ حـدـثـاـ فـيـ الـاـنـتـخـابـاتـ الـمـصـرـيـةـ ، وـإـنـاـ كـانـ النـحـاسـيـنـ يـظـفـرـوـنـ كـلـمـاـ قـيـلـ إـنـهـ مـطـلـوبـوـنـ لـلـوزـارـةـ ، وـكـانـ عـمـلـ الـمـوـظـفـيـنـ وـلـعـمـدـ وـسـمـاسـرـةـ الـاـنـتـخـابـ فـيـ هـذـاـ التـحـولـ أـكـبـرـ مـنـ عـمـلـ الـأـحـادـ الـمـتـفـرـقـيـنـ .

هلـ نـبـرـىـ النـاخـبـ عـامـةـ مـنـ أـجـلـ هـذـاـ ؟

هلـ نـبـرـىـ الـرـشـحـيـنـ ؟ـ هلـ نـبـرـىـ الـأـحـزـابـ ؟

كـلاـ ...ـ لـاـ نـبـرـىـ أـحـدـاـ وـلـاـ نـدـيـنـ أـحـدـاـ ،ـ غـيرـ أـنـتـاـ نـلـعـمـ كـمـاـ يـعـلـمـ الـكـثـيـرـوـنـ مـنـ طـبـاعـ النـسـ أـنـهـ قـابـلـوـنـ لـلـتـضـحـيـةـ وـقـابـلـوـنـ لـلـبـطـلـوـنـ وـكـلـمـاـ وـجـدـ السـبـبـ الـذـيـ يـرـتفـعـ بـهـمـ إـلـىـ تـلـكـ الـذـرـوـةـ ،ـ وـلـكـنـكـ تـنـظـلـ كـرـامـةـ الـقـدـيسـيـنـ إـذـ أـرـدـتـ مـنـ النـاسـ فـيـ جـمـلـتـهـمـ ؟ـ يـتـغـلـبـوـنـ عـلـىـ مـصـالـحـهـمـ لـغـيرـ قـضـيـةـ عـامـةـ يـفـهـمـونـهـاـ وـيـسـتـشـارـ بـهـاـ شـعـورـهـمـ مـنـ رـكـودـ حـيـاةـ الـيـومـيـةـ .

وـالـخـلـاصـةـ التـىـ لـاـ نـشـكـ فـيـهـاـ أـنـ النـاخـبـ الـمـصـرـىـ يـقاـومـ كـلـ مـحـنةـ وـكـلـ إـغـراءـ فـيـ سـبـيلـ إـيـشـانـ بـقـضـيـةـ وـطـنـ وـعـظـمـ زـعـيمـ فـيـانـ لـمـ يـكـنـ هـذـاـ شـرـطـ الـلـازـمـ لـصـحةـ الـاـنـتـخـابـ أـنـ يـكـوـنـ قـيـامـ الـوـزـارـةـ الـقـادـمـةـ مـعـلـقاـ عـلـىـ نـتـائـجـهـاـ وـلـاـ تـكـوـنـ هـذـاـ الـوـزـارـةـ مـعـلـومـةـ قـبـلـ إـجـرـاءـ الـاـنـتـخـابـ ،ـ فـإـذـاـ تـيـسـرـ ذـلـكـ وـسـلـمـتـ لـلـنـاخـبـ حـرـيـتـهـ فـتـمـشـلـ الشـعـبـ فـيـ هـذـاـ الـحـالـةـ أـصـحـ عـشـلـ مـسـطـعـ .

وـهـذـاـ أـيـضـاـ فـيـ الدـفـتـرـ

وـأـصـحـابـنـاـ الـأـقـدـمـوـنـ لـمـ يـنـسـوـاـ هـذـهـ الـخـصـلـةـ وـلـمـ يـجـهـلـوـنـ خـطـرـهـاـ فـيـ التـرـيـةـ السـيـاسـيـةـ ،ـ فـقـدـ كـانـ النـاخـبـ الـأـمـلـ عـنـهـمـ هـوـ النـاخـبـ الـذـيـ يـدـيـنـ بـالـلـوـاءـ لـلـمـدـيـنـةـ وـكـانـتـ الـمـدـيـنـةـ عـنـهـمـ مـرـادـفـ لـلـوـطـنـ فـيـ الزـمـنـ الـحـدـيثـ ،ـ فـكـانـوـنـ يـقـولـوـنـ إـنـ الـأـثـيـنـىـ الـحـقـ مـنـ يـنـسـيـ نـفـسـهـ حـيـنـ يـعـطـيـ صـوـتـهـ أـوـ مـنـ يـوـقـنـ فـيـ حـيـاتـهـ الـخـاصـ وـحـيـاتـهـ الـعـامـةـ فـلـاـ تـحـوـرـ إـحـدـاهـمـ عـلـىـ الـأـخـرـ ،ـ وـكـانـوـنـ مـعـ ذـلـكـ لـاـ يـنـسـوـنـ أـنـ الـمـواـطـنـ الـصـالـحـ وـالـإـنـسانـ الـصـالـحـ وـصـفـانـ لـاـ يـتـساـوـيـانـ فـيـ الـمـعـنـىـ إـلـاـ إـذـ اـرـتـقـيـتـ الـجـمـعـ إـلـىـ الـأـوـجـ الـمـثـالـ فـيـ الـأـخـلـقـ وـالـمـلـكـاتـ الـعـقـلـيـةـ ،ـ وـهـيـهـاتـ .

قالـ شـيـفـ :ـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ كـانـتـ الـمـدـيـنـةـ كـمـاـ يـتـصـورـهـاـ الـأـثـيـنـىـ مجـتمـعاـ يـعـيـشـ أـفـرـدـ مـعـاـ فـيـ تـالـكـ وـانـسـجـامـ ،ـ وـيـتـحـلـ لـأـكـبـرـ عـدـدـ مـسـطـعـ مـنـ أـفـرـادـ فـرـصـةـ

## أحد أقارب تشرشل كان يحمل البيكوية.

في الشهر الماضي ظهر الجزء السادس والأخير من تاريخ الحرب العالمية الثانية الذي يكتبه السير ونستون تشرشل رئيس الوزارة الإنجليزية في الوقت الحاضر ، وكأنه قد ختم به تاريخه للحرب العالمية وختم به أعماله الوزارية أو السياسية ، إذا صع ما أذيع من أنه ينوي اعتزال السياسة بعد شهور .

ومن المعمول أن يكون الخبر عن اعتزاله السياسة صحيحاً لأنه لم يظهر على عادته ظهوره المنيف فوق المسرح منذ سنتين ، وسيبلغ الثمانين في نهاية شهر نوفمبر القادم انقضى الصيف واقترب عيد الميلاد المسيحي واتفق مع ذلك أنه يحتفل بالذكرى الثمانين لموالده فذلك مناسبة صالحة لاعتزال بعد طول إلتصال والنزال .

### العبرية وأفتها

هذا الجزء كسائر ما يكتنه تشرشل مزيج من الأدب والتاريخ ومزيج من العبرية وأفاتها التي يقول النسائيون إنها تلازمها .

قيل إن العبرية لا تسلم من بعض الاختلال .

ويقول تاريخ أسرة تشرشل إن جنور الاحتلال كامنة في الآباء والأمهات ، فالدوق مارلبرو الكبير قضى السنوات الأخيرة في حياته ذاهب اللب من أثر الصدمة التي من بها لإهماله بعد الإقبال عليه ، والجلدة سارة قيل عن كوارثها البيتية أنها أصابت رأسها كما أصابت قلبها ، والجند الأمريكي القريب - جله لأمه - كان معروفاً بأغرب الغرائب في طموحه ومخامراته .

ولا شك في عبرية تشرشل .

ولا شك كذلك في لوازم هذه العبرية سواء كشفتها الوراثة أو دل عليها بأطواره وأقواله وبعضاً كتاباته ، ومنها ما تقرأ في هذا الجزء الأخير .

الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد ، فليس ألم للقارئ العصرى من توسيع النظر إلى أصول المباحث الأولى والحديثة في مسائل الاجتماع والحكم والسياسة ، وليس أدعى إلى صدق النظر فيما يعرض عليه من الدعاوى والدعوات من علمه بعواقب أمثالها فيما تقدمت به تجارب الأمم ، وقد يقال عن يقين إنه ما من جديد كل الجلة قط في هذه المذاهب السياسية التي تساق كل يوم مساقاً جديداً .

ولا تزيد على مثل واحد لبيان رأينا في أسلوب الترجمة كما اختاره الأستاذ العروسي حريصاً على الدقة والطلاقة ، وهذا المثل الواحد يدل على غيره كل الدلالة ويطمئن القارئ إلى الثقة بالمعنى مع اختلاف المشرب أو المنهج ، فقد ترجم الأستاذ كلمتي Happy Versatility بالتغيير السعيد ولا خطأ في معنى الكلمتين بهذه الترجمة ، ولكننا نفضل أن نترجمها «بالمرونة المرفقة» لأن هذا اللفظ يؤدي معنى الاتفاق ويؤدي معنى السعادة أن يصل إلى طبقة السعادة في قوة مدلولها ، وهي بلا شك أقوى من المطلوب بوصف التوفيق ، إذ هو أقرب إلى الوصف المريح منه إلى الوصف السعيد .

بينه وبين ابن سعود

وهذا بعض ما نقرأ في الجزء السادس عن مقابلته للملك سعود رحمه الله في إقليم الفيوم :

«في السابع عشر من شهر فبراير أعدت العدة لاستقباله بفندق البحيرة من واحة الفيوم ، وأجلجى من الفندق جميع النازلين به ، ثم نجمت مسائل شتى من المشكلات الاجتماعية ، فقد أخبرت أنه لا التدخين ولا المشروبات (الروحية) مما يسمع به في حضرته الملكية ، وكانت أنا صاحب الضيافة في ذلك الاجتماع ، فبادرت إلى إثارة المسألة مع المترجم وقت له إذا كانت ديانة جلالته تحظر عليه التدخين والمشروبات فإن نظام حياتي يجعل من شعائرى المقدسة تقديساً مطلقاً Absolutely Sacred أن أدخلن وأنتناول الشراب قبل الوجبات وبعدها وفي الفترات بينهما .. فتلطّف الملك بقبول الموقف ، وناولنى ساقيه قدحاً من عين مكة المقدسة كان أذى ما تذوقته من الماء ...».

إلى أن قال :

«وترك الملك ابن سعود فى نفسى أثراً بالغاً فكان إعجابى به عميقاً لولائه الذى لا يتزعزع لنا . فقد كان على أحسناته فى الساعات المظلمة ، وقد بلغ السبعين ولكنه لم يفقد نشاط المقاتل المناضل ولم يزل يعيش عيشة الملوك الشيوخ - أو الآباء - فى صحراء بلاد العرب مع أبنائه الأربعين الأحياء وثلاث من زوجاته الأربع حسب وصفة النبي ، وأحد الأماكن الأربع خال لا يزال ...».

هذه هذه العبرية بأفاتها كلها ..؟

فليس للنبي محمد عليه السلام «وصفة» تأمر المسلمين بزواج الأربع . وليس للسيد المسيح عليه السلام وصفة تأمر شرشرل بالتقديس المطلق للشراب أو التدخين .

وقد كان فى وسع شرشرل أن يكتب هذه القصة بغير هذا الإيمان والإيمان .

ولكن هل كان ذلك فى وسعه حقاً إن كانت الوراثة حاكمة وأفات العبرية لازمة !؟

لانظن ، ولو أنه كان في وسعه أن يتتجنبه لتجنبه ، فما كان أحد ليضطره إليه ،  
لولا أنه اضطرار لا حيلة له فيه  
**مساومات السياسة**

وليس من غرضنا أن نعقب بالنقاش على أجزاء الكتاب ، فإنه يبلغ أربعة آلاف صفحة لا تخلو إحداها من حادث أو خبر أو قضية ، ولكن القليل منه قد يغنى عن الكثير في بيان «أسلوب المساومات» بين سياسة الدول ، ولا سيما هذه المساومات التي تجنبى على الأمم الصغيرة ، وأولها المساومة على قناة السويس ! جرى ذكر الهيئات الدولية والأصوات المعدودة فيها فقال ستالين : «أفرضوا أن الصين على اعتبارها عضواً دائمًا بمجلس الأمن طلبت إعادة هونغ كونغ أو أن مصر طلبت إعادة قناة السويس فإنهما لا تنفردان ، وربما كان لهما أصدقاء أو حماة في جمعية الأمم أو في مجلس الأمن .»

«فقال شرشل : على حسب ما أفهم لا يمكن أن تستخدم قوى الهيئة العالمية ضد بريطانيا إن لم تكن مكتنة ورفضت الموافقة .

«وسائل ستالين : لهذا صحيح ؟ فأكيدت له أنه صحيح .

«وقال مستر إيدن موضحاً : إنه في هذه الحالة يحق للصين أو مصر أن تشكو ، ولكنه لا يمكن أن يتخذ قرار يتضمن استخدام القوة بغير مراجعة حكومة جلاله الملك ، وأكد مستر ستيلتكس أن العقوبات لا تفرض إلا بإجماع الأعضاء الدائمين ، وإن كان من الجائز تزكية المقترنات التي تقدم للتسوية السلمية .

«قال ستالين : إنه يخشى أن تؤدى المناوشات حول هونغ كونغ وقناة السويس إلى تمزق الوحدة بين الدول الكبرى الثلاث .

«فأجبته بآنتي أقدر الخطر ، ولكن الهيئة العالمية لا تعطل بحال من الأحوال على الاتصال الدبلوماسي بين الدول الكبار أو الصغار ، وأن الهيئة العالمية منفصلة على حلة ولأعضائها أن يستمروا في بحث مسائلهم بينهم ، ومن الحماقة أن تثار داخل الهيئة العالمية مسائل تمزق الوحدة بين الدول الكبرى .

«قال ستالين : إن زملائى فى موسكو لا يستطيعون أن ينسوا ما حدث فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣٩ خلال الحرب الروسية الفنلندية حين استخدم الانجليز

يقول الدكتور من الصفحة الـ (٤٥٦) بعد رثائه للشاب فؤاد بن الأمير سليم شهاب من السيدة جلنار ابنة شرشل بك الانجليزي :  
 «شرشل هو من أعرق الأسر الانكليزية شرفاً ولم تزل أسرته من اللوردات في إنكلترا . حضر إلى سوريا مأموراً عسكرياً سنة ١٨٤٦ وبقي فيها ولم يرجع إلى إنكلترا وتزوج من النساء الشرقيات وهو سياسي محظوظ خبير رزق ابتنان وغلام ، (هكذا) سماه ونسن عرفته جيداً وتزوجت بنته ، الواحدة بالأمير شهاب ، والثانية بالأمير سليم منصور شهاب والدة فؤاد ، وكان شرشل بك أخت في إنكلترا أوصت بقسم من أملاكها أو قيمة أربعة آلاف ليرا إنكليزية لأولاد أخيها من زوجتها خاصم وبعد وفاتها دخلوا بالدعوى وأخieraً اقتسموا المال حسب الوصية ونالت زوجة الأمير عبد الله حصتها من الإرث . أما ولده فتزوج فتاة إفرنجية أتى بها إلى سوريا ثم انفصل عنها وتوجهت بلادها غير أنه تبعها أخيراً ولا أعلم ماذا صار به بعد ذلك . إنما بلغه أنه توفي بلا عقب ..»

أما الشاب الذي رثاه الطبيب الشاعر فقد قال عنه في مذكراته قبل ذلك إنه «هو فؤاد بن سليم منصور الشهابي .. كان شاباً وحيداً بلغ السابعة عشر وتعلم بمدرسة الآباء اليسوعيين فعرض بياده الجنب وتوفي وهو سبع شقيقات هو وحيد يبنهن . وقد حزن لفقد كل من عرفه وقد نظموا له عدة «مراثي» وكانت من جملة من رثوه . أما والدته فهي ابنة شرشل بك الانجليزي الذي كان قائماً في الجند الانكليزي وهو من أسرة عريقة في الشرف لم تزل إلى اليوم» .

فها هنا اسم «شرشل» واسم «ونستون» ولقب اللوردية والعمل في الجندي ، فمن يكون هذا الضيف الشرقي أو المستشرق من تلك الأسرة التي لا تذكره ولا تذكر الشرق كله بخير ؟

إن صاحب المذكرات الدكتور شاكر بك الخوري قد يدعوك إلى الابتسام بأسلوبه الكتابي وغرائب عصره . ولكنه كان ولا شك من ذوي الاتصال الوثيق بتاريخ الأسر الشرقية ، وكان من الطلاب اللبنانيين القلائل الذين سمح لهم بحضور الدروس الطبية في مدرسة القصر العيني برعاية الخديو إسماعيل ، ولما حضرت السيدة حسن جهان قرينة الأمير بشير قاسم الشهابي إلى مصر كان هو الطبيب الذي اختاره الأمير لمعالجتها والعناية بها ثم ثلب للسفر معها عند عودتها ، ثم وقع عليه الاختيار لصاحبته أسرة روزفلت في رحلتها النيلية منذ نحو خمسين سنة وعلى رأسها السيدة روزفلت الأم ومعها ولداها كرنيليوس وفرنكلين الذي تولى الرئاسة وتوفي منذ بضع سنوات .

والفرنسيون عصبة الأمم ضدنا ونجحوا في عزل الاتحاد السوفيتي وإخراجه من العصبة ، ثم راحوا يؤذبون الأمم علينا وتحذّلوا في إعلان الجهاد على روسيا ، أفلأ نستطيع أن نحصل على بعض الضمانات التي تحول دون تكرار هذا مرة أخرى ؟

«قال مستر إيدن : إن الاقتراح الأميركي يجعله من المستحيل .

«فسأل ستالين : أليس من الممكن إضافة موانع أخرى ؟

«فقلت : إن هناك تدابير متعددة عن الإجماع بين الدول الكبرى .

«قال ستالين : إننا نسمع اليوم بذلك للمرة الأولى .

«فسلمت أن هناك محاجزة باحتلال إثارة التهبيج على إحدى الدول الكبرى - بريطانيا مثلاً - فيكتفى أن أقول في هذه الحالة إن الدبلوماسية العادلة تؤدي مهمتها في الوقت نفسه ، ولا ينبغي أن أتوقع أن الرئيس بشير أو يؤيد حملة على بريطانيا العظمى ، وأشعر بيقين أن كل شيء سيعمل لوقفها كما أشعر في مثل هذا ليقين بأن المارشال ستالين لن يهاجم الدولة البريطانية - بالقول بدأها - قبل أن يتحدث إلينا أولاً ويجرى البحث في وسيلة التسوية الودية .

«قال ستالين : نعم ..» .

وهكذا يتفاهمون ويعقدون صفقات المساومة وتبادل الرضى بالعدوان على الأمم الصغيرة ! «دعوا لنا فنلاندا وما شابهها ندع لكم هونج كونج وقناة السويس وما شابهما ... وتحمّل المهام الدبلوماسية أثناء ذلك على حدة باسم الوحدة العالمية» .  
 ولقد كتبوا ميثاق الأمم المتحدة على الورق ، ولكن الميثاق الذي جرى عليه العمل بغیر كتابة هو هذا الميثاق الذي يفهم من وراء الجدران والأوراق .

### شرشل بك

والمعلوم أن السير ونستون شرشل ينتهي إلى أسرة الدوق (مارلبرو) وأن اسم شرشل أضيف إلى أعلام الأسرة بعد موت الدوق مارلبرو بغیر عقب مباشر ، ولكن يجهول أن سلفاً من أصحاب هذا الاسم أقام زمناً في الشرق وتزوج منه وزوج بناته فيه وأنعم عليه بلقب البكتوية منذ مائة سنة ، إن صبح الخبر الذي قرأناه في مذكرات الدكتور شاكر بك الخوري طبعت سنة ١٩٠٨ بطبعة الاجتهد في بيروت .

## العامية من جيل إلى جيل

أما فكاهة صاحبنا على الرغم منه فهي فكاهة الأسلوب العامي أو المفردات العامية «كما تتطور» من جيل إلى جيل ومن بلد إلى بلد .

أراد أن يصف مستشفى قصر العيني كما وجده عند دخوله فقال «كان يسع لحد ألف فرشة وتدخله جميع المرضى من جهادية وملوكية» .  
يعني «ألف سرير» .

وأراد أن يذكر الطلبة وأدواتهم فقال «كان عدد التلامذة لحد ما يتمنى للطب والصيدلة وكان لهم ضباط عسكريين وكلهم كل سنة طقم جوخ وأخر كتان وكل ما يلزم من الطريوش إلى السرمادية ...»

ولم يكن بالمدرسة - ثلاثة - ولم يكن الحصول على الماء البارد ميسوراً بغير تبریدته في «القلل» القنائية ، قال : «وكتبت في بعض الأحيان أستيقظ من النوم وأطلب الماء فأجد قلبي فارغة . ففى ذات يوم خطر لى أن أضع فى الماء قليلاً من الطريش المقى الذي يسبب القوى ولا يضر .. .»

وبقية القصة مفهومة لا لزوم لشرحها فى شهر رمضان !

### التشريح القاتل

أما التطور في التفكير والفهم ، وعلى العموم فيكتفى في بيانه فرق النظر بين تشريح الجثث بين أمس واليوم ، فقد روى الطالب أن «أحد التلامذة يوماً ما قدم عريضة إلى كلوت بك وهجم عليه بينما كان يقرأها وضرره بالختجر على رأسه فأخطأه ثم رجع وضرره في صدره فتلقاه في زنه ، وأخيراً مسکوا هذا الخائن وذلّك بسبب التشريح» .

قال : «إن معلم التشريح في ذلك الوقت كان رجلاً نمساوية فمات أحد الخصيّان من دائرة أحمد باشا في الاستبالية فأشہروا الخبر أن المعلم شرحه فابتدرؤا يترصدون معلم التشريح لأجل إلحاقيه الضرر به ، ففى ذات يوم وهو راجع ليلاً إلى منزله مارا بقرب السرايا وجده اثنان من الخصيّان فسلاه إذا كان يعرف معلم التشريح ترى شرح رفيقهما فأجابهما نعم أعرفه .. ماذا تريدين منه ! فقالا إنه شرح رفيقنا ، حدّدانه نشرحه مثله ، فقال : اتبعاني وأنا أدخلكمما عليه . فمشى إلى أن وصل إلى داره فندسنه ، عرف اسميهما ووقف الباب وراءه ، وفي اليوم التالي أخبر عنهمما نعوقبا» .

فإذا كتب رجل كهذا خبراً عن أسرة شرشل وعلاقتها بالأسر الشرقيّة فهي كتابة مطلع يعلم ما يقول ، وأبعد ما يمكن عن احتمال أن تكون القصة كلها من قصص الشابهة في الأسماء لأن أسر النبلاء الإنجليز لم يتكرر فيها اسم أسرة شرشل واسم ونستون على الحصوص .

فمن يكون شرشل بك هذا من أسلاف السير وأبناء الدوق ؟ ومن في لبنان اليوم من ذرية بناته أو من ذريته هو بعد زواجه من إحدى السيدات اللبنانيّات ؟ وكيف يكون الاتصال بين شرشل اللبناني وشرشل الإنجليزي إذا تعارفاً اليوم معرفة الأقارب والأصحاب .

إن وجد في لبنان من يذكر هذا النسب فحير ما تصنّعه لبنان أن مجنبه لفاظه قريبه نصیر الصهيونية في مشكلة إسرائيل ، أو مجنبه لإقناعه بحق الشرف وحق بنيه ، ومتهم عمومه له وأخواله !

### طرائف التاريخ القريب

على أن الدكتور شاكر الخوري جديـر - بـحـقـهـ الشـخـصـيـ - أن يـذـكـرـ فيـ سـيـاقـ التـارـيـخـ وـقـىـ سـيـاقـ الـلـغـةـ وـقـىـ سـيـاقـ الـفـكـاهـةـ ، فإـنـهـ عـلـىـ أـسـلـوـبـ المـضـحـكـ يـحـسـنـ الـفـكـاهـةـ وـيـقـبـلـهـ إـذـاـ أـصـابـتـهـ ، وـقـدـ أـصـابـهـ مـنـهـ الـكـثـيرـ وـضـجـرـ مـنـهـ وـلـكـنـهـ أـحـالـهـ عـلـىـ الـطـبـيـعـةـ الـمـصـرـيـةـ الـتـيـ لـاـ تـعـنـرـ أـحـدـاـ وـقـعـ فـيـ طـرـيـقـ الـقـافـيـةـ .

### الحـمـارـ صـاحـبـ السـعـادـةـ

ومن فكاهته أن الطبيب الكبير «محمد على البقللي باشا» كان يلقى درسه المشهور ، وكان من هبّته يخفف الطلاب فلا ينبع أحدهم بكلمة في حصته ، ويخفف للوظيفين بالمستشفى فيمنعون كل ضوضاء فيه ومن حوله ، ولكنهم في ذلك اليوم سمعوا ضجة عالية يتخاللها نهيق حمير وصياح أناس هنا وهناك ، فنظر الدكتور البقللي إلى طالب سورى اسمه بشارة وأمره أن يتعرف جليـةـ الخبرـ ، فجاءـهـ بعد لحظةـ بـخـبـرـ عـنـ حـمـارـ الـبـاشـالـ مـيدـرـ كـيفـ يـلـقـيـهـ وـكـيفـ يـتـكـلـمـ عـنـهـ وـهـوـ فـيـ عـرـفـ الصـلـبـ - حـمـارـ لـاـ يـكـنـ أـنـ يـشـبـهـ الـحـمـيرـ .

قال : «إن سعادة حمارك عندما رأى دابة مصطفى أفندي ابتدأ بالنهيـقـ .. وـنـظـرـ الـبـاشـالـ إـلـىـ صـاحـبـناـ يـقـولـ لـهـ سـائـلاـ : ياـ شـاـكـرـ ! هلـ تـنـحـونـ الـرـتـبـ وـالـأـلـقـابـ فيـ بـلـادـكـ لـحـمـيرـكـ ؟

قال شاكر : نعم يا سيدى ، ونذلك نقول لبشرة : يا بشارة أفندي .

## تاریخان

هذه المذكرات وما جرى مجريها تدخل في باب التاريخ «غير المقصود» وهو في اعتماد الكثيرين أصدق وأولى بالثقة من التاريخ المقصود ، لأن الفائدة منه منزهة عن التوجيه المدبر والأهواء التي تصط冤 بها أحكام المؤرخين . ولو أن صاحب المذكرات تعمد أن يكتب فصولاً في تطور الأفكار والعادات وقضية اللغة الفصحى واللغة العامية . وعلاقة الأسر التاريخية لما استطاع أن يعطينا من الحقائق ما نأخذه من سطوره ومن بين سطوره على السواء .

والعبرة البينة في أسلوب الكتابة أن لغة العلم والثقافة تتشتت وتتشعب إلى عدة لغات على حسب اللهجات والأزمنة ومبلغ المعرفة عند كتابتها ولم تكن هناك لغة فصحى تعتمد في الكتابة العلمية والثقافية وتختلط قيود البيئة المحدودة والزمن الموقوت ، ولهذا يصعب أن يقال إن الكتابة باللغة الفصحى تفهم الآن خيراً من الكتابة بلغة العصر الحاضر في قرية من القرى ولو كانت اللغة الفصحى لغة الجاهلية قبل بضعة عشر قرناً أو نحوها ، لأن غاية ما نجهله منها كلمة تفسرها المجمعات أما اللهجات القرى فتحصر في حدود كل قرية وليس لها معجمات ولا يتأنى أن توضع لها معجمات تحفظها جميع القرى للمراجعة والاستشهاد .

وحيداً لو حفظ في متاحف اللغة أثر من آثار اللهجات العامية جيلاً بعد جيل لتدكير الباحثين في اللغة بهذه الحقيقة كلما تعرضت للنسيان .

## أين مذكرات سعد؟

ويبن النظر في مذكرات الساسة ومذكرات الرحالة والسياح يخطر لنا أن نسأل : هل قصى بالكتمان على أهم المذكرات الوطنية والسياسية التي كتبت في مصر في العصر الحاضر وهي مذكرات سعد زغلول؟

لا نحسب أن سبباً من الأسباب التي نظر إليها سعد عند كتابة مذكراته قد يقى الآن حاثلاً دون نشرها والاستفادة التاريخية منها ، فقد ذهب الملك فؤاد وذهب وزراؤه من نظراء سعد ومنافسيه وامتنت العوائق التي كانت تقف في طريق نشرها مهما يكن من حسن نيتها أو سوتها ، وليس في هذه العوائق بطبيعة الحال أن تشتمل المذكرات على آراء لا توافق مصالح مصطفى النحاس ، فإن سعداً لم يعلم أنها ستتحول إلى يديه ولم يقيـد نشرها بقيـد من هذا القبيل .

فلمـاذا تطوى هذه المـذـكرـات ؟ ولـى متـى تظل مـطـوية عن أعين التـاريـخ وأعين التـطـلـعـين إـلى حقـائقـه وخفـاياـه .  
لـعلـهـ قدـ آـنـ الأـوانـ .

ثم حقب صاحب المذكرات على الخبر قائلاً : «وكذلك كان المصبرون زمن الفراعنة عند المصريين مكرهـين وكـانـوا يـرمـونـهمـ بالـحجـارـةـ ويـخلـصـواـ منـ القـتـلـ بصـعـوبـةـ معـ أنهاـ عمـلـيةـ دـينـيةـ .. .»

لا شهادة للمصريين  
ومن أطوار الزمن أن شهادة الطب كانت تسلم إلى الطلاب الشرقيين إذا أتوا واستهموا ولا شهادة للطلاب المصريين .

قال صاحب المذكرات : «وبعد الامتحان النهائي - أي بعد درس ست سنوات - تعطى الشهادة إلى تلامذة الشوام فقط ولا تعطى للمصريين ، لأن هؤلاء يبقون في المدرسة بعد آخر فحص فتخبر عنهم عمدة المدرسة مجلس الصحة وهذا يعينهم بالمؤربات اللائقة بهم ولو لم تكن بيدهم الشهادة ، وتلك لأجل حصرهم في مصر بحيث لا يمكنهم مغادرتها ، لأن الحكومة علمتهم مثل عسكرية ، فلو هرب أحدهم إلى البلاد الغربية لا تتمكنه العيشة بلا شهادة .. .»

وهذا نص «شهادة الشوام» على حد تعبير الطالب النجيب الذي نقلها بحرفيها وهي كما يلى :

«حمدنا من أعاد مصر رونقها الأول بهمة عالي الهمة ، الأعلى النبيه ، من اقتدي في نشر المعارف والمنافع بجده وأبيه ، أفندينا ولـى ذـى النـعـمـ الفـضـلـ الجـزـيلـ ، خـدـيوـ مصر وعزيزـها إسماعـيلـ ، حـفـظـهـ اللـهـ وـأـبـاهـ ، وـأـدـامـ تـوـفـيقـهـ وـشـكـرـ مـسـعـاهـ فإـيـهـ جـدـ دـقـيقـةـ فيـهاـ أـنـوـاعـ المـدـارـسـ ، وـأـحـيـنـ كـلـ عـلـمـ رـيمـ وـدارـسـ ، فـمـنـ جـمـلةـ هـذـهـ المـدـارـسـ الجـزـيلـةـ وـأـعـظـمـهاـ نـفـعاـ المـدـرـسـةـ الطـبـيـةـ التـيـ أـشـرـقـ فـيـ المـشـرقـ نـورـهاـ حتـىـ اهـتـدـيـ بهاـ كـلـ قـاصـ وـدانـ ، وـأـتـاهـ الـقـاصـدـونـ مـنـ أـقـاصـيـ الـأـقـطـارـ وـالـبـلـدـانـ ، وـكـانـ عـنـ سـعـىـ إـلـىـ هـذـهـ المـدـرـسـةـ الـمـنـيـفـةـ رـغـبةـ فـيـ تـلـمـيـذـةـ الطـبـ الشـرـيفـةـ ، الـفـطـنـ الـلـوزـعـيـ الـأـدـيـبـ وـالـشـابـ النـبـيلـ شـاكـرـ أـفـنـدـيـ الـخـورـىـ اـبـنـ يـوسـفـ أـفـنـدـيـ الـخـورـىـ أـحـدـ أـعـصـاءـ الـجـلـسـ الـكـبـيرـ فـيـ جـبـلـ لـبـانـ .. .»

ويلى ما تقدم بيان مفصل للدروس التي حضرها وأسماء الأساتذة الذين حضر عليهم وتوقيعاتهم واحداً واحداً شهوداً بصحبة ما جاء فيها من ذلك البيان ، ثم يلى توقيعاتهم إقرار من «رئيس مجلس عموم صحة مصرية» يقول فيه :

«نظرت هذه الشهادة المهمّرة بأختام حضرات خوّاجات المدرس الطبيّ بمجلس عموم الصحة المصرية مصدقاً عليها من سعادة ناظر ديوان المدارس والأوقاف والأجل اعتمادها بمحل اللزوم لزم الشرح منا» .

## سحر الشرق \*

لقيني الزميل الصحافي المتقن الأستاذ حبيب جاماتى فابتلونى  
قائلًا : ابن حلال والله .. لقد تركت الساعة على مكتبي خطابا  
أعدته لإرساله إليك وضمنته بعض المعلومات عن شرشل بك الذى  
ذكرته فى إحدى مقالاتك ، ثم خرّجت قبل أن أتم الخطاب على نية  
العوده إلى إقامه وإرساله فالحمد لله أنت لقيتك لأحدثك بما كنت  
أنوى أن أرسله إليك ، مكتوبًا فى موضوع هذا الرجل .

ثم قال الأستاذ جاماتى : إن الرجل قريب حميم لرئيس الوزارة البريطانية كما  
قدرت ، وله ذرية في لبنان و المعارف وأصحاب ، وهم يذكرونه باسم شرشل بك ...  
فقد عربوا اسمه كما عربوا كثيراً من أخباره وأطواره ، وهو من الشخصيات التي  
تحيط بها الأخبار والذكريات .

وفي ذلك اليوم نفسه وصل إلى دار «أخبار اليوم» كتاب من المؤرخ اللبناني  
المعروف الأستاذ صموئيل عطيه تفضل فيه ببيان موجز عن شرشل بك اللبناني  
وسبب مقامه في لبنان وانقطاعه فيه عن أسرته الإنجليزية .

قال الأستاذ عطيه : إن إنجلترا أرسلت في أوائل القرن التاسع عشر أسطولها إلى  
المياه السورية لمساعدة الدولة العلية ووقف الزحف الذي قاتل به جيوش إبراهيم  
باشا ، وأن الأسطول ألقى مواجهة بقيادة بشير الشهابي  
حليف إبراهيم باشا بين استسلامه لأميرال الأسطول أو نفيه إلى الأستانة .. وكان  
على ظهر البارجة التي تقل الأميرال بعثة إنجليزية سياسية أحد أعضائها الكولنل  
شرشل من عائلة شرشل المشهورة ، ففى إحدى الحفلات التي أقيمت لتكريم هذه  
اللجنة تعرف الكولنل بسيدة من العائلة الشهابية فهام بها وقرر أن يتزوجها ، وما  
عارضته عائلته استعنى من الجيش البريطانى غير عابى به تهديد العائلة .

### شرشل محب للشعر العربى

ويفهم من بيان الأستاذ عطيه أن شرشل بك هذا كان كاتباً مشغولاً بالتاريخ  
وأنه ألف كتاباً أهداء إلى صديقه الدوق ولنجدون المشهور عن فيه خاصة بعقارب  
الطائفة الدرزية .

بل يفهم من أخباره أنه أراد أن يحيط نفسه بالجنو الشرقي كله وهو ذلك الجو  
الذى يعتقد المسحورون بالشرق من الغربيين أنه لا يخلو يوماً من شعر يقال فى  
جميع المناسبات . فاشترى قرية صغيرة من قرى لبنان تقع بين بلدتي عاليه  
وبحمدون المعروفتين للمصطفين ، وبنى فيها قصراً وساعدته على زراعتها كثرة  
الينابيع ولا تزال على جسر بناء فوق أحد الأفنيه لوحه رخامية منقوش عليها  
ما يأتى :

لقد أنشاء شرشل بك جسراً  
ثري هذا المكان وكان أرضًا  
شريف قد تسلل من شريف  
نسيب مؤيد جنرال حرب  
والقرية اسمها «بمحواره» يملكونها الآن المليونير اللبناني جورج شقير ، ويزرع بها  
أجود التفاح والكمثرى والخوخ ، والى بضع سنوات مضت كانت مبانى قصر  
شرشل بها لا تزال قائمة . /  
ويقول الأستاذ عطيه : إن أسرة شرشل بك قاطعته مقاطعة تامة ، ولكن عمه  
عادت فاعترفت بابنه الذى كان يحمل اسم ونستون شرشل وهو اللقب أو الاسم  
الذى يتخذه أفراد الأسرة ، وكان الاعتراف بالابن بعد وفاة والده .  
الحمد لله

ونحن نشكر للأستاذ عطيه بيانه الوافى عن شرشل بك ، ونحمد الله على تبدل  
الزمن وتبدل العلل والمعاذير التى يلجأ إليها الاستعمار لبسط يده على الأماكن التى  
يتطلع إليها ، فلو تقدم الزمن قليلاً بشرشل بك هذا لاستطاعت بريطانيا العظمى أن  
تقسم دعواها على القرية وما حولها لأنها تضم رفات رجل من رعاياها وسليل بيت  
من أقدم بيوتها ، وكانت حماية الرفات ورعاية الذرية «الإنجليزية» سبباً صالحًا  
لرفع «اليونيون جاك» على الجسر أو على اللوحة التى فيها اسم «وزير الإنجليز عظيم  
شان» .

أما والدنا قد تبدل بعض الشيء وتبدل معها دعاوى المستعمرين ودعوى  
الشعوب فقصاري الأمر فى سليل «مارلبروك» هذا أنه واحد من مساحير الشرق بين

ذكرى هذه الناسكة «العشتروتية» وهو يتأمل هيأكل تدمر وطافت به ذكرهاها وهو يصعد من صيدا إلى قصر المختار حيث احتفى به ويزملاته زعيم شاب من الدروز من بيت جنبلاط.

\* \* \*

### حرب الجان في السويس

وظهرت في اللغة الإنجليزية كتب شتى عن هذه الأميرة الناسكة ، منها كتاب الفتنه السيدة حصلب اللبناني وكتاب الفتنه النبيلة الإنجليزية الدوقة كليفلاند ومنها فصل مسهب في كتاب السائع كنجليلك «في مطلع الفجر» أجاد فيه تشيلها ومحاكاة أحاديثها التي دار معظمها على نابليون وإبراهيم باشا وبيرون ولامرين وكان هؤلاء جميعاً هدف السخرية والفكاهة عن السيدة البارعة في الحاكمة ، ولكن السر الخفي الذي كشفت عنه الناسكة الساحرة إنما يدور على كنوز السويس الخبورة ومعارك الحرب التي احتدمت حولها بين حراس السجن ونابليون تارة وإبراهيم باشا تارة أخرى ، ونقل المؤلف هذه الأحاديث في كتاب ألفه سنة ١٨٣٥ وطبعه بعد ذلك لسنوات ، وهذه شذرات منه عن عرق الذهب الذي يستولى صاحبه على ماشاء من الذخائر والكنوز .

قال فيما نقله عنها : «إن نابليون من ذراعه في الكهف فيبست ولكنه لم يرتعب ولم ينهز بل أمر جنوده بإطلاق المدفع فانطلقت على غير جدو . إذ ماذا تجدى المدفع في حرب الجان ! .. ثم جاء إبراهيم باشا بعد سينين بمدافعه الثقيلة وطلسمه الخبيثة ، لأنه كان من العارفين بالسحر وأسرار العزائم والتعاونية ، وكان محظياً محروساً من فعل الرصاص والقذائف الناريه ينفصها من كسوته بعد انتهاء المعركة فتسقط كالتراب ، ولكنه لم يفلع في استخلاص الوداع من حراسها وأوصادها .

وقص كنجليلك كثيراً من نبوءاتها عن الحروب العالمية فقال : «أنذرتنى النبية أننا مقبلون على أهوال وقلائل تذهب بكل قيمة للأرض وما عليها وأن الذين يعيشون في الشرق هم الجحدين وحلهم أن ينعموا بعظمة الحياة الجديدة ونصحت لي أن أعمد في متسع من الوقت إلى التخلص من كل ما أملك في إنجلترا الهزلة المسكونة وأن أخذنى ملاداً في الأرض الآسيوية ثم أشارت على بأن أعود إلى

مشاهير الغربيين ، وليس الذين عرفوا في لبنان من هؤلاء الساحير بالقليل ، وفي مقلمتهم سليلة تنتمي إلى بيتين يضارعان بيت ماريبرو في النسب والمكانة وهما بيت شاتام وبيت ستانهوب .

\* \* \*

### فتح عن الحب

هذه السليلة هي الادى مستر ستانهوب التي أصبحت في الأدب العربي أسطورة مشهورة منذ كانت بقید الحياة قبل أكثر من مائة سنة . هجرت بلادها وعلت على الإقامة في الشرق بقية حياتها ، فحجت إلى بيت المقدس واختارت لها مكاناً بجوار صيدا بين عشائر الدروز أقامت فيه من سنة ١٨١٣ إلى أن أدركتها الوفاة بعد ست وعشرين سنة وهي تناهز الثالثة والستين .

أما سر هذه الهجزة فهو «هوسة حب» قلبت بهوسه دين ، فقد كانت تحب السير جون مور فماتت فيليب من الدنيا واعتزمت أن تتبلل بعيداً عن كل ما يذكرها بهواها ، ثم تطور معها شعور الحب المفقود إلى شعور الزهد والأمل في البعث القريب ، فداخلها الاعتقاد أن السيد المسيح سيعود إلى الدنيا وهي قريبة من بيت المقدس ، وهيأت لاستقباله مطيبة يركبها لتمشي هي في ركباه ، غيرت زيها الأوروبي فعاشت بقية حياتها في الملابس الشرقية ولا سيما ملابس البدو من الرجال !

وكانت لا تبالي الخطر ولا تخاف البدائية ، فلما اعتزمت أن تزور هيأكل بعلبك - وفيها ذكريات عشتروت ربة الحب - حذرها النصحاء وخوفوها من أبناء الصحراء ، فضربت بتحليفهم عرض الحائط ولم تندم على هذه المحاجفة لأنها ذهبت وعادت في آمان برعایة زعماء البدو الذين رحبوا بها واستقبلووها بين عمدان الهيكل بوكب من أجمل الفتيات البدويات يرقصن ويهزجن ويشددن لها الآناشيد وأنزلوا أجملهن من قوس النصر متسللة على جبل مضفور بالأزهار لتضع على رأسها إكليل الحفاوة والأكرام ، وقد سرها المقام بين أبناء البدائية وبناتها فنصبت خيامها في جوار المعبد نحو أسبوع .

قال العلامة جولييان هكلى وقد عبر بصوتها في رحلة الأونيسكو التي تولى رياستها : «أى شريط سينمائى كان خلائقاً أن يؤخذ من هذا المنظر» ، وقد طافت به

للشاعر الفرنسي دور يتصل بتراث اليونان فليكن له إذن دور يتصل بتراث الأرض المقدسة ، ومن هنا نجمت الفكرة في سياحته الشرقية وأسفرت عن رحلة الشرق البليغة التي تحسب من آيات الوصف الشعري في كتب السياحات .

وأوشك لامرتين أن يقيم في الشرق ويقطع الصلة بينه وبين الغرب لولا أن تحولت الأحوال في وطنه فأثر الرجعة إليه ، مزوداً بسخرية اللادى ستانهوب !

ومنذ رحلته إلى لبنان سنة ١٨٣٢ أصبح الكلام عن لبنان والاشتهر بالاطلاع على قضيته مما يروقه ويرضي غروره ، فلما أثارت الدول مسألة الشرق الأدنى وتقطيم تركية الرجل المريض - أي الدولة العثمانية - شعر الفرنسيون بهزيمتهم في المصمار أمام التآمرات الأنجلizية وراحوا في برلانهم ينحون على حكمتهم وفي ضليعتهم لامرتين الذي كان - مع شهرته بالشعر - من خطباء البرلان المعدودين .

وقد حفظت له خطبة مشهورة في نصف سنة ١٨٤٦ حمل فيها على الوزارة ولم يتورط فيها مع الساسة في استغلال تهمة التعصب الدينى أو في اتخاذ جانب المسيحيين أو الدروز ، بل رجع بالحوادث إلى دسائص الدول وقال إن الفريقيين متهددون وكانوا على وفاق ومؤدة في ظل الأمير بشير الشهابى الكبير ، وأن هذا الأمير لم يحطئ في غير شيء واحد وهو جنوحه إلى إبراهيم بن محمد على ، فغضبت عليه حكومة الباب العالى من جراء ذلك وجاءت الدول بعد جلاء إبراهيم باشا عن سوريا فأسقطت هيبة الأمير بشير» .

وكان في تلك الخطبة معارضًا لسياسة فرنسا في القطر المصرى لأنها صرفت همها إلى تأييد محمد على وكان من واجبها أن تؤثر بالعناية أناسًا من عقيدتها استظلوا بحمايتها منذ أجيال متقدمة وأحسوا باهتمامها من أيام لويس القدس إلى أيام لويس الرابع عشر .

وقد كان لامرتين يعني بذلك أن «الحكومة الملكية» عرفت واجبها قبل الثورة الفرنسية لأنها كان ملكيًّا وكانت أسرته كلها ملكية مما عرض أباً للسجن في أيام الثورة وعرضه هو للهجرة من بلاده ، وأعجب أطواره في الأدوار السياسية المسرحية أنه بعد كل هذا رشح نفسه لرئاسة الجمهورية فلم يظفر بأصوات تذكر في معركة الرئاسة .

إلا أن الكلمة التي تذكر له في تلك الخطبة هي قوله المشهورة «إن الدول ترعم أنها تريد أن تخلق من جبال لبنان سويسرا أخرى في الشرق ، فاحذروا أيها السادة أن تجعلوها بولونيا أخرى» .

سورية بعد ذهابي إلى مصر ، فابتسمت بيدي وبنفسى لأنى كنت على نية عقدها وأبرمتها وفرغت منها إذ قررت بعد زيارة الأهرام أن استقل الباخرة من الاسكندرية إلى بلاد اليونان . إلا أن الإنسان يجاهد القدر عيشاً ويقضى في التدبیر والله في التقدير ، فإن النية التي لم أصدقها كانت على صواب في نصيتها وكان الطاعون يهدىني في معتقل الحجر الصحي لو أبحرت من الاسكندرية ، فاضطررت إلى تغيير طرقى ولبست بصرى برهة ثم رجعت من طريق الصحراء مرة أخرى وعدت إلى جبال لبنان كما اندرنى النية من قبل ؟

وانتقل كنجيليك من حديث الكوارث العالمية وحرب الجان والسحرة إلى آراء الناسكة النية في العقاد والذاهب والأديان ، فقذ : «إن اللادى هستر تحدثت إلى طوبلا في مسائل الديانة فقالت لي أن المسيح سبتي بعد وحاولت أن تكشف عن سخف الأوروبيين في آرائهم الدينية وعما لديها من أسرار العظمة الروحية» .

وهنا تطرق إلى سيرة اللورد بيرون الشاعر الإنجليزى وإلى سيرة الكونت لامرتين الشاعر الفرنسي - وكلاهما من رواد الشرق كما سبأتهى فراحت تحاكى اللورد بيرون وهو يرثى بالروميدة ويظن أنه قد فهمها - نفهم الكافى لإصدار الأوامر بها إلى مخنومه اليونانى ، وراحت تحاكى النبيل الفرنسي الشاعر وهو يبالغ فى الاناقة والكياسة ويحاول أن ينسى أسلوب أبناء قومه فى كثرة الإشارات والإيماءات أثناء الحديث ، فكان إلى ظرفاء الإنجليز أقرب منه إلى نبلاء الفرنسيين .

وتركتها الأديب السائح وهو يخفي ابتسامته ويكتب عنها في حذر شديد لأن أمها كانت من حاشية أسرتها الكبيرة في بلادها ، ولم يشا أن يقول إنها كانت مسحورة بالشرق فعلمه هو أيضاً في زمرة المسحورين .

#### لامرتين

وأشهر من هذين بين مساحير الشرق في القرن تاسع عشر كما تقدم «الفنون لامرتين» مؤلف قصة روائية التي ترجمها الأستاذ الزيارات وترجمها قبله الأستاذ نجيب أخذاد باسم «اغصن البان فى رياض الجنان» على عادة الأدباء يومئذ فى تسجيع العنزيين .

كان لامرتين يهيم بمحاكاة بيرون في رحلاته ومغامراته ، وقد رحل بيرون إلى بلاد اليونان واشترك في حرب استقلالها ومات بالحمى على أرضها ، ولم يبق

تنقية أسلوبه من مسحة فولتير وأقرانه للتهاكمين المستخفين ، ومن رأها ظن أنها أكبر من شقاء العيش وهي تسعى لرذقين وترحل بين فرنسا وبولونيا وبين بولونيا وبرلين لتجتمع من مرتب المربية الخاصة رزقاً تعين به التلميذ المطروح والاستاذ المغروم .

ولكتها الغيرة وسخانتها لا تعرف الحكمة فلا تستريح ولا تريح ، وقد أصبحت هنرييت بالحسي وماتت بها في لبنان ، وحار الأطباء في توصيف تلك الحمى وتسميتها باسماء الأمراض البدنية ، ولكنها ولاريب تحمل في طيبها جرثومة من جراثيم الفكر مع أدوات الأجسام .

ومن فجائع هذه الحنة أن العدو سرت إلى رينان فأفاق من غيبوته ساعة وسائل عن الشقيقة التي ظن أنها تتمثل للشفاء ، قبل أن يغيب عن وعيه ، فعلم أنها فارقت الحياة .

#### بعد خمسين سنة

. وبعد خمسين سنة زار أمين الريحاني ضريح هنرييت واستعاد ذكرياته يوم زاره قبل ذلك بخمس وعشرين سنة فقال :

«إنني أُنْقَلَ من مذكراتي في تلك الأيام وأترجم من مقال لي باللغة الإنكليزية كتبته إلى مجلة بوكمان النيويوركية .

«منذ ربع قرن ، أى يوم حجتنا ، كان أهل عمشيت يعجبون لمن يجيء بلدتهم سائلًا عن ضريح هنرييت رينان شقيقة ذلك الفرنسي الكافر ، وقد اجتمعنا يومئذ بكاهن يسكن البيت الذي أقام فيه رينان وتوفيت فيه هنرييت ، وكتب فيه قصماً من حياة يسوع ، فقلنا لا أول وهلة إنه ولا شك حر شجاع ، وأنه لا يأبه بالذكريات .

«وقد قيل لنا إنه متخرج من الجامعة الشهيرة التي درس رينان نفسه فيها من سان سليمان بباريس ، وأنه كاهن عصرى أى مهذب حر الفكر والضمير كما يراد من اللفظ في تلك الأيام .

«ولكته على عصريته وعلى ما في بيته كان يدعو رينان كافراً ولا يخفى احتقاره حتى للزائرين العجبين به ، وكأنه تخصص في دروسه اللاهوتية بعلم المقاصد والنيات .

يريد أن يقول إن مطامع الدول قد تجنبت على أبناء لبنان كما جنت على البولونيين فمذقت بلادهم بين آل رومانوف وآل هابسبurg وآل هوهنلزلر ، وقد كانوا يحسبون أنهم من حماية فرنسا الأدبية في حز أمين .  
وريثان ...

وقد كان رينان كذلك من مساحير هذا الشرق المظلوم ، وكان سحر الشرق عليه شديداً فاسياً لأنه جرده من مسوح الكهان ومن نعمة الإيمان ، إن صبح ما رماه به أنطاب ذلك الزمان .  
مات أبوه وتكفلت به أخته هنرييت ، واشتغلت بالتعليم لتنتفق على تعليمه في مدارس اللاهوت .

ولكته جنح في دراسة اللغات السامية ليطلع على الكتب المقدسة في أصولها العبرية والعربية ، فقاده الاطلاع إلى الشك وقاده الشك إلى المجاهرة بأرائه التي أنكرها رجال الدين في زمانه ، وأوشكت مسالتة أن توقع في القصر الامبراطوري مشكلة بيته بين نابليون الثالث وزوجته أوجيني ، فإنها كانت تناصر رجال الدين في حربهم للفيلسوف المارق وكان هو يناصر رينان ويود لو أقامه في كرسى من كراسى الأستاذية بالكوليج دي فرنس .

غير أن الإمبراطور لم يشا أن يستهدف لسخط المذين من جراء فلسفة رينان ، فأقصاه عن فرنسا في بعثة علمية إلى سان ، واغتبط رينان بهذا الأقصاء ، لأنه كان مشوقاً إلى دراسة اللغات الفينيقية والإرامية بين آثارها في بلادها ، وكان يسره أن يطوف بين قرى لبنان ويسمع أسماءها التي تحمل أصولها العربية وتدل بالباء على بيت وبالعين على عين وبالرش على رأس ، وتعيد إلى بحمدون ذكرى بيت حمدنون وروشيمة ذكرى رأس وعمشيت ذكرى عين شيت ، فضلاً عن التين والزيتون فيها وهما من أقسام القرآن الكريم .

وابتل في لبنان بلية أخرى لم تكن له في حساب ، لأن صحبة أخته الدائمة أثارت غيرة زوجته فانقضت عليهما هنجه ثم عادت مغضبة مسترية ، وأضافت بحماقتها مصيبة أخرى من المصائب التي جرتها عليه حمامات الناس ، وحماقته هو في بعض السهوات والبلدوان .

لقد كانت هنرييت في سنه تكاد أن تمحى أماله كما كانت أماله بالتربيه والتثقيف ، وكانت تعاوشه في الكتابة وتصحح له الأخطاء وتحتهد اجتهادها في

## وجودية أو عدمية.

كابوس يستحق نصيبه من السخرية وافقاً كما تلقاه على يدي الفيلسوف صاحب الكوابيس . أو صاحب الألاعيب : براتاند رسل . ذلك هو كابوس الوجودية التي يلخص بها فلاسفة المقاوم في الحى اللاتينى وهم الآن يتكلمون بلغة «الإنذارات النهاية» فى مناقشاتهم ، أو مناوراتهم مع الخبراء الثقافيين من زمرة الشيوعيين .

ما هذا اللنفط بالوجود والوجودية ؟ ما لهؤلاء القوم يُيدِّعون ويُعيَّدون فى حديث وجودهم ؟ هل يريدون إثبات الوجود المشكوك فيه ؟ هل هم موجودون أم معدومون يحلمون فى ساحة العدم بالوجود ؟

كابوس وأى كابوس !

وقد نظم الفيلسوف لهذا الكابوس نشيداً بالفرنسية قال فيه :

«في صحراء شاسعة الأطراف  
دفراغ واسع من الرمال .  
ذهبت أبحث وأنق卜 .  
ذهبت أبحث عن الطريق المفقود  
«الطريق الذي أبحث عنه ولا أصل إليه .  
«اتيه روحي هنا واتيه هناك .  
«في كل جهة من الجهات الأربع .  
«وكلما بحثت لم أجد شيئاً .  
«في ذلك الفراغ الذي ليس له آخر .  
«ذلك الفراغ الذي لا ينقطع .  
«رمال ، رمال ، رمال .  
«وتلك الرمال الخادعة الخائفة .  
«وتلك الرمال الرتيبة المخزنة .

\* أخبار اليوم ١٩٥٤/٦/١٩ .

وقال ذلك الحترم إن أحد أغنياء اليهود استخدم رينان لكتابه كتابه الذى لا يستحبنته غير اليهود أنفسهم والكافار من المسيحيين . وقال كذلك إن شقيقة رينان التى كانت تلبس لبس الراهبات وتزور الكنيسة مع أهل القرية ساعدته على تأليف ذلك الكتاب فهو ولد «في الكفر سواء» .

والبلية الكبرى على ضحايا الفكر أن رينان متهم عند اليهود لأنـه قال عن أنبياء الساميين ما لا يرضاه يهودى من المؤمنين ولا من الكفار .

سرى ياجمال الدين

فماذا نقول ؟ أنقول إنه سرى جمال الدين الذى رمـه بالكفر فلاحقتـه تهمـة الكفر فى الحياة وبعد الموت ولم يسلم منها فى وطنه ولا فى الشرق الذى استدرجـه بسحرـه ولم يعرف جمال الدين حرمتـه فيه !؟

لا نقول ذلك ولا يقلـه جمال الدين . ولكنـنا نقول إن السـحر أقوى من المسـحـوريـن ، وأن هـؤـلـاء المـفـتوـنـيـن بالـشـرق لم يـسـغـرـيـوه إـلـا لأنـهـم هـم أنـفـسـهـم غـرـيـاءـونـ مستـغـرـيـونـ ، وإنـما يـوـى الرـءـوـى نفسهـ فـيـماـ حـولـهـ كـمـاـ قـبـلـ .

وقد أشرنا إلى لحة من غـرـائبـ لـأـرـتـينـ الذـىـ رـشـحـ نـفـسـهـ لـرـئـاسـةـ الجـمـهـورـيـةـ وـهـ مـلـكـيـ بالـلـوـرـاثـةـ وـالـفـكـرـةـ وـالـشـعـورـ ، وأـشـرـنـاـ كـنـلـكـ إـلـىـ لـحـاتـ منـ غـرـائبـ الـأـمـيرـةـ السـاحـرـةـ المـسـحـورـةـ فإـذـاـ كـانـتـ غـرـائبـهـ تـلـكـ بـحـاجـةـ إـلـىـ الـزـيـدـ فـقـيـ وـسـعـكـ أـيـهـاـ القـارـئـ أـنـ تـزـيـدـ عـلـيـهـ غـرـائبـ أـيـهـاـ الذـىـ كـانـ وـسـاماـ وـطـبـاعـاـ وـمـخـتـرـعاـ وـنـبـيـلـاـ منـ الـأـسـرـ الـبـرـيطـانـيـةـ الـعـتـيقـةـ وـجـمـهـورـيـاـ يـعـلـمـ مـذـعـبـهـ بـرـئـاسـتـهـ لـجـمـاعـةـ الـشـورـيـنـ طـلـابـ الـانـقلـابـ فـيـ الـعـقـلـ الـمـلـكـيـ الـقـدـيمـ اـ

ومـاـ كـانـ أـقـوىـ السـحـرـ الشـرـقـيـ فـيـ وـجـدـانـ رـينـانـ !؟

ومـاـ كـانـ أـقـواـهـ فـيـ دـعـمـ شـرـشـلـ المـفـمـورـ !؟

إـنـهـمـ غـرـيـاءـ تـسـوـقـهـمـ غـرـابـهـمـ إـلـىـ اـسـتـغـرـابـ الشـرـقـ وـاسـتـغـرـابـ كـلـ شـءـ يـنـظـرـونـ إـلـيـهـ فـيـ مـرـأـةـ نـفـوسـهـمـ .

ولـسـاـ نـكـرهـ أـنـ يـوـصـفـ الشـرـقـ بـالـغـرـابـةـ عـنـ هـؤـلـاءـ الغـرـباءـ . . .

ولـكـنـهـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـحـتـفـظـ بـغـرـابـهـ دونـ أـنـ يـصـبـحـ فـرـجـةـ مـنـ تـهـاـوـلـ الـخـيـالـ ، وـأـنـ يـحـسـ فـيـ الـقـفـصـ مـنـ أـجـلـ ذـاكـ .

وـلـأـ فـالـمـشـرـقـ «ـالـمـسـتـغـرـبـ»ـ هـوـ الغـرـبـ ..

«تقدى إلى نهاية الأفق».

«واسع صوتاً في النهاية».

«صوتاً صاعقاً يحلو أو حلو يصعق».

«ثم يقول لي ذلك الصوت».

«تحسب أنك روح ضائع».

«تحسب أنك روح».

«أنت غلطان».

«أنت لست بروح».

«أنت لست بضائع».

«أنت عدم».

«أنت غير موجود».

وهكذا طمع الفيلسوف طموحة مرة واحدة . فهو فيلسوف وروائي وشاعر ، وهو موسيقي أيضاً . لأن قصيده هذه قبلة للإيقاع والغناء .

والكابوس في هذه القصة راكب على أنفاس «وجودي» يريد أن يثبت مذهبة .  
ومذهبة أن الألم والخجل يخلقان الشعور في الضمير ، ومتنى خلق الشعور في الضمير فالضمير موجود وصاحب غير معروف .

ومن تجارب الكابوس أن يبتلي هذا الوجودي بالتعذيب في معسكرات النازية وأن يجعله في روسيا . وأن يدخله في الشيوعية الصينية ليتهم فتاة بريئة محلقة بتهمة الشيانة والجاسوسية لعله يشعر بالخجل وتبكيت الضمير فيثبت لنفسه أنه موجود .

ثم يعود إلى باريس فتنعقد الجامع ترحيباً بالمجاهد العائد من ميدانه . ويدعى إلى مجمع من هذه الجامع فيقبل وهو ينظر إلى مكان ضيف الشرف ، فإذا فيه غراب ! وإذا الغراب ينبع له بصوت يسمعه المؤمن كله .

«فلسفتك يا هذا ليس لها وجود».

«فلسفتك يا هذا عدم».

«إنها ليست بشيء».

وينهض فرعاً على صدى هذا النعيب فيسمع نفسه يصبح : ها أنت أخيراً تعذب  
ها أنت أخيراً موجود .

ولكنه حلم ، بل كابوس ، لا يذكره مدى حياته ولا يجري ذكر الفلسفة له على لسان .

## كوابيس الكبراء\*

### كابوس أيزنهاور\*

ليست الكوابيس كلها مسلطة على النحاسين وال فلاسفة المفكرين ، ولكنها تتسلط كذلك على ذوى السلطان ، فلا يسلم منها ستالين ولا أيزنهاور ، ولا يفلت منها أصحاب الخلول وأصحاب المقترنات والمشروعات فى سبيل السلام .

ويحلم الرئيس أيزنهاور فيرى في الحلم كابوس الوفاق الثنائى بين مكارثى وملنکوف .  
مكارثى «يكتسح» ميدان الانتخاب بعد سنة فيرتقى إلى كرسى الرئاسة وينتقل بالسياسة الغربية من محاربته الشيوعية في روسيا إلى محاربتها في قلب الديار الأمريكية .

ولا تمضي غير فترة وجizaة حتى يتم الوفاق بين رئيس البيت الأبيض ورئيس الكرملين ، وحتى تنقسم الكورة الأرضية شطرين بين الرئيسين .

فآسيا وأوربة الشرقية من نصيب الكرملين وملنکوف .  
وأوربة الغربية وأفريقيا والقارنة الجديدة من نصيب البيت الأبيض ومكارثى .

ولا يسمع لأحد في الشرق أن يشتم رأس المال أو ينكر انتساب كولبس كله بأبايه وأجداده إلى عنصر الصقالبة .

ولا يسمع لأحد في الغرب أن يشتم الصعاليك أو ينكر انتساب بطرس الأكبر إلى الأميركيين الأصلاء .

ويكتفى بحزب واحد في الديار الأمريكية هو الحزب الجمهوري دون غيره .  
ويقال في تسويف هذا التوحيد أنه الدافع الوحيد خطر الحرب العتيدة . المقابل من قريب أو بعيد .

وتبقى مشكلة اليابان .

وليست اليابان مشكلة إلا إذا بقيت دولة قوية مسلحة . فلتجرد إذن من السلاح . ولتقسم إذن قسمين ، ولتكن جزيرة «هكايدو» من حصة الروس ولتكن بقية الجزء من حصة الأميركيين .

ويصبح من حق كل رئيس أن يسمى خلفه وبختاره على غراره . فيسمى مكارثي رئيس الجمهورية من بعده . ويسمى ملكوف أولياء عهود بعد ولئنه . وتعاهد الأم ثلاثة وأربعين سنة إلى تمة القرن العشرين . أن تصنون الميثاق وتنكح الأعناق لبطلى الوفاق .

ولا يخلو الكابوس من كابوس آخر في باطنه ، كابوس داخل كابوس ، يخيف الآخرين فيعتصمون من الكوايس الصغار بالكابوس الكبير .

واحد من هذه الكوايس الصغار كابوس لشيم يخيل إلى البيض أن السود قد ثاروا بهم يذبحونهم في القارة السوداء ، فلا يبقى أبيض ولا أسود في القارات الخمس إلا وهو يلمس رأسه بين كتفيه .

نعود بالله

نعود بالله في الختام ، نعود به فتحمه على السلامة والسلام .

وخير ما نشيغ به الكوايس كلمة تكشف سرها وتوضح سحرها ، وإن كانت لا تدفع شرها !

والسحر الأقدمون والسحر متفرقون فيما تراضى به الشياطين ...

والسحر الأقدمون هم المشعوذون .

والسحر الحديثون هم «الكهنة» النفسيون .

وكلهم يقولون إنك تروض الكابوس إذا عرفت اسمه ، ووعيت طلسمه ، وأحسنت نداءه ، ولم تجهل دعوه ودعاه .

وقد يعرف القارئ اسم الكابوس فيضحك ، وقد يكون الضحك من اسم الكابوس أول علامات الشفاء وأخر علامات الداء .

ونعوذ الله ..

وقد أنصف الفيلسوف الرياضي قلم يرحم الفلسفه الرياضيين ، ولم يتركهم في  
أمان من عهد أفلاطون إلى عهد أدجيتون .

وبناءً على الفيلسوف الرياضي فيحمل بالأرقام تناديه ونتائجيه : الواحد يصبح فخوراً :  
أنا الأول ، وأنا الأصل الأصيل .

والاثنان تقاطعه فتصبح شامخة : لا زيادة ولا نماء إلا باثنين اثنين .

والثلاثة تقول : أنا عدد الربات الثلاث ربوات الأقدار ربوات النعمة والبركة  
والكمال .

والأربعة تقول : أنا العدد الذي تقابل به الأمثال وتعادل فيه الأعدال ..

والخمسة تقول أنا اليد التي تعد وتحسب ، والستة تقول إنها عدد التمام ،  
والسبعين تقول أنها العدد المقدس في الأرض والسماء .

ثم يحاول الكابوس أن يسكنها عند العشرة فتهجم الأحد عشر قائلة : أنا عدد  
الرسل الأئماء بعد يهودا الحاخن ، وتهجم الاثنا عشر قائلة إنها أم الحساب عند أم  
الرياضية في أرض بابل ، وتهجم الثلاثة عشر قائلة : حذار أن تغفلونى فالحكم  
بالشوق والنحس والبلاء .

وتنتقض الأعداد فإذا الفرديات والزوجيات رجال ونساء ، أو إذا هي ذوات  
أجنحة تطير بباب الرياضي المسكين فيلوذ منها بالغرار . وبطليع عليه النهار .

## قبلة الجزائر بين مكة وبارييس \*

### ثورة الجزائر

ثورة الجزائر خبر اليوم الذي يملأ الصحف وتهتز به سotas الأثير .  
وإن هذه الثورة للدرس رادع للمستعمرين وغترة نافعة للمعتبرين . ورجاء صادق  
لليائسين .

كان المؤرخ الفرنسي وزیر الخارجیة فی وقت من الأوقات - جبراٹیل هانوت -  
يقول قبل خمسين سنة إنهم استطاعوا أن يحولوا قبلة التونسيين من مكة إلى  
باريس .

وجاء بعده من يقول إن التجربة نجحت في الجزائر أضعاف نجاحها في تونس ،  
لأن الجزائريين دخلوا في الجنبية الفرنسية وفتحت لهم أبواب البرلمان الفرنسي  
وأصبحوا يتعلمون لغة الدولة الحاكمة قبل لغتهم العربية ، ويفرض عليهم في  
السنوات الأولى أن يلقبوا تلك الدولة بلقب الأم الخنون .

وكنا نحن في أسوان نبصر بالعين خطأ الوزير السياسي الفيلسوف وضلاله في  
سياسته وعلمه وفلسفته ، قبل أن نميز الخطأ من الصواب في مباحث السياسة  
وال تاريخ .

كنا في مدرسة أسوان نتطلع إلى العمل الوطني الذي نسمع عنه كثيراً ونتعجل  
الوقت الذي نضطلع فيه بشيء منه بالغاً ما بلغ من القلة والضئالة ، وكانت المدارس  
في البلدة قليلة ومدرستها الأهلية التي أنشأها أحد فقهائها باسم المدرسة  
الإسلامية فقيرة إلى المساعدة والتشجيع لضعف مواردتها وقلة الإقبال عليها ،  
فائفتنا نحن فئة من تلاميذ المدرسة الأميرية على التطلع بالتدريس في فصولها  
التحضيرية ، وكان رائداً وسابقاً إلى هذه المهمة اللواء الصالح حرب رئيس جماعة  
الشبان المسلمين ، فإنه توظف قبلنا فاستطاع أن يضيق المساعدة بمال إلى مساعدته  
التي كان يؤديها بالتدريس في أوقات الفراغ .

\* أخبار اليوم : ١٢/١١/١٩٥٤ .

## المثل كين في الفلسفة الوجودية \*

لو ترك «سارتر» الفلسفة وحضر جهوده في الرواية التحليلية لما تبدلت هذه الجهود في الكلام الفارغ الذي يسمونه بالوجودية ولا شيء فيه من الفلسفة على الإطلاق، ولا مصير له غير الإهمال بعد سنوات، إن لم يكن قد دخل منذ اليوم في ظلال الإهمال.

لقد كانت المسرحية التي وضعها عن المثل كين أو خلل العبرية تحفة قليلة النظر في الأدب التمثيلي الحديث، ولا يستطيع النصف أن يوازن بينها وبين تحفة إسكندر دوماس إلا حكم بالرجحان لهذه الشمرة العصرية من ثمرات التحليل والدراسات النفسية.

لا شيء من الحب في الرواية ولا في حياة العبرى أدموند كين . ولكنها الكبارياء في نفوس الجميع ، وأولهم الملك جورج الرابع الذي ظهر في رواية دوماس باسم ولی العهد حرصاً على العلاقات السياسية .

ومن الواضح أن المثل كين يزاحم الملك على معشوقةه لكرييانها . ولكن المستغرب أن تهيئ هذه المعشوقه النبيلة بالممثل النبود مرضاه لكرييانه ، وهي فيما يبدو من ظاهر الأمر تبتذل كبارياءها بغازلته وتهيئ كرامتها بالمناوية بينه وبين الملك وزوجها النبيل .

لكريانها غرابة ظاهرة ليس إلا .

أما الواقع فهو أن الكبارياء تعمل هنا ما لم تعمله في غرام كين بالعشوقه النبيلة لأنها تشبع غرور المرأة كله حين يقال إنها تضرب المثالات في ميدانهن ، وأنها «أثنى» قبل كل شيء .

وتبرز هذه المعانى في المسماومة بين كين والمعشوقه النبيلة على مكافحة الغيرة «العلنية» .

وذهب إلى المدرسة الإسلامية ذات يوم لأداء حصصي فأجاد هناك شاباً غريباً في كسوة غريبة لم أر شبيهاً لها قبل ذلك ، فقد كان يلبس كسوة التشريفة الأوربية وعلى رأسه الطربوش المغربي وفي إحدى يديه قفاز وبده الأخرى عارية بغير قفاز. فعرفني به صاحب المدرسة وعلمته منه أنه الأمين الخاص لنبيل فرنسي من الأسر العربية ، وأنه صحبه في رحلاته الشرقية ، وقد صحبه في هذه الرحلة الشتوية إلى أسوان .

كان الكلام بالفرنسية أيسر على هذا الشاب من الكلام بالعامية الجزائرية فضلاً عن العربية الفصحى ، وكانت تربيته منذ طفولته في باريس حيث عرف النبيل من سنوات الدراسة الباكرة ، وكانت له فترة فراغ في الصباح وفترة أخرى بعد الظهر يقضيهما حيث شاء غير متقييد بصحبة النبيل ، فترك الفندق وملاهييه ذلك اليوم ليبحث عن معهد إسلامي أو مدرسة إسلامية يطلع فيها على خبر من أخبار الإسلام في هذه الديار ، وطفق بعد ذلك يتربدد على المدرسة كل صباح ويبذل لصاحبهما ما استطاع من المعاونة والإرشاد .

لم يكن هذا تصديقاً فلسفياً أو تاريخياً لنبوة هانوتو وأمثاله ، ولكننا رأينا خطأ الفيلسوف المؤرخ رأى العين قبل أن نرجع إلى الفلسفة والتاريخ .

للفرنسيين مستقبل واحد في الجزائر طال بهم الزمن أو قصر . مستقبلهم أن يعيشوا فيها جزائريين أو يرحلوا عنها مطرودين ، وأما أن تصبح الجزائر الفرنسية في حصن فرنسا - أمها الحنون - فلن يطول الرضاع أكثر من خمسين سنة !

وهذه صيحة الطفل الرضيع على أمه الحنون .

إنها للدرس للمستعمر وعبرة للمعتبرين ورجاء للبيائسين .

## تاريخ المستقبل

وقدت أعرض على القارئ تلك المقارنة البدعة التي جاءت بها يراعة «ونتورث دي ويت» Wintworth De Witt الفيلسوف المتخصص لدراسة أبيقور لولا أنها مقارنة تستلزم منا تمييداً طويلاً في تصحيف أغلاط التاريخ عن «أبيقور» الفيلسوف المظلوم الذي أصبح اسمه علماً على «الشهوانية» ولم يكن بين الفلاسفة من هو أبعد منه عن الشهوات.

يقارن دي ويت بين أبيقور والقديس بولس إمام المسيحية في القرن الأول بعد الميلاد ، ويعزز مقارنته بالنصوص وشواهد الحياة ، ويدع القارئ وهو على يقين من سخافة التاريخ وطهارة الفيلسوف المظلوم .

ولو اتسع المقال للتمييد والتصحيف على هذه الوتيرة لكانـت هذه الأعجوبة سيدة الأعاجيب بين واردات الأدب الأخيرة ولكنـها أسلم وأوضح حيث تأتـى بعد تمييـدها الملائم ، ومع تصحيـحـها المطلوب .

ونحن نستبدل بها هذه الخاتمة عنـ كتاب فى تاريخ المستقبل ... فربما كانـ الكذب على تاريخ المستقبل أقلـ كثيراً منـ كذب المؤرخـين علىـ الماضي البعـيد ، أوـ علىـ الحاضـر القـرـيب .

وأشهدـ بعدـ هـذاـ أنـ الكتابـ الآخـيرـ عنـ تاريخـ المستـقبلـ جـدـ صـارـمـ لاـ يـأنـيهـ الـهـزلـ منـ بـيـنـ يـديـهـ وـلاـ منـ خـلـفـهـ .

غيرـ أـنـاـ مـعـشـرـ الشـرـقـيـنـ سـنـضـحـكـ مـنـ قـبـلـ أـنـ نـظـرـهـ ضـحـكـةـ الرـضاـ ،ـ وـسـيـضـحـكـ مـنـ مـعـشـرـ الغـرـبـيـنـ ضـحـكـ الـاسـتـخـافـ وـيـتـمـنـونـ لـهـ التـكـذـيبـ مـنـ الـغـدـ لأنـهـمـ لـاـ يـلـكـونـ فـيـ أـمـرـهـ غـيـرـ هـذـاـ الضـرـبـ مـنـ الـأـكـاذـيبـ .

يـتـحدـىـ الـكتـابـ مـصـيرـ الإـنـسـانـ وـيـسـتـندـ فـيـ نـبـوـاتـهـ إـلـىـ الـإـحـصـاءـ وـأـطـوـارـ التـقـدمـ حـسـبـ الـحـقـائقـ الـتـيـ يـعـلـمـونـهـ الـيـوـمـ ،ـ أـوـ الـحـقـائقـ مـنـ طـرـازـ ١٩٥٤ـ .

ويـقـولـ عـنـهـ الـعـلـامـ آـيـنـشـتـيـنـ !ـ (ـإـنـاـ خـلـقـاءـ أـنـ شـكـرـ هـارـيـسـونـ بـرـاؤـنـ عـلـىـ هـذـاـ الـكـتـابـ الـذـيـ بـحـثـ فـيـ أحـوالـ الـإـنـسـانـ كـمـاـ تـكـشـفـ الـيـوـمـ لـلـنـاظـرـ الـمـتـفـقـ الـجـلـيـ النـظرـ)ـ .

ويـشقـقـ الـمـؤـلـفـ عـلـىـ قـرـائـهـ مـنـ جـدـ الـعـلـمـ فـيـمزـجـ فـصـولـهـ بـالـشـعـرـ ،ـ وـيـخـصـ الـشـعـرـ الـشـرـقـيـ بـقـسـطـ غـيـرـ قـلـيلـ ،ـ فـهـوـ يـفـتـحـ الـفـصـلـ الـآـخـيرـ بـأـبـيـاتـ الـخـيـامـ الـتـيـ يـقـولـ فـيـهـ :

فالنبيلة تهدده باستقبال ولـىـ العـهـدـ فـيـ مـقـصـورـتـهـ وـالـأـقـبـالـ عـلـىـ بـالـمـغـازـلـ الفـاضـحةـ الـتـىـ لـاـ بـدـ أـنـ يـلـحظـهـ الـجـمـهـورـ .

ويـجـنـ جـنـونـ الـمـعـثـلـ فـيـسـأـلـهـ عـنـ شـرـوطـهـ فـلـاـ تـشـرـطـ عـلـيـهـ شـيـئـاـ إـلـاـ يـعـانـقـ عـلـىـ الـمـسـرـحـ عـمـلـةـ غـيـرـ الـفـتـاةـ الـجـمـيـلـةـ (ـأـنـاـ دـنـيـ)ـ .

وـانـ الـمـسـكـينـ لـيـعـلـمـ أـنـ الـمـغـازـلـ فـيـ مـقـصـورـةـ عـلـىـهـ بـيـنـ الـمـعـشـوـةـ الـنـبـيـلـةـ وـلـىـ الـعـهـدـ لـاـ تـكـونـ إـلـاـ دـورـاـ مـنـ دـوـارـ الـتـعـتـيلـ .

وـلـكـنـ هـذـاـ الـذـيـ يـعـنـيهـ دـونـ الـحـقـيقـةـ ،ـ فـهـوـ لـاـ يـرـضـيـ كـبـرـيـاءـ إـذـاـ كـانـ الـنـبـيـلـةـ تـحـبـ فـيـ سـرـيرـتـهـ وـيـرـىـ الـجـمـهـورـ مـنـهـاـ أـنـهـاـ تـغـازـلـ وـلـىـ الـعـهـدـ عـلـىـ مـنـظـرـ مـنـهـ وـمـنـ صـاحـبـهـ كـيـنـ .

فـلـاـ كـبـرـيـاءـ فـيـ هـذـاـ الـحـبـ الـمـسـرـحـ ،ـ بـلـ هـوـ إـذـلـاـلـ وـمـجـاهـرـةـ بـالـإـذـلـالـ فـيـ غـيـرـ مـجـاملـةـ .

وـعـلـىـ هـذـهـ الـوـتـيرـةـ تـجـبـرـيـ مـنـاظـرـ الـرـوـاـيـةـ كـلـهـاـ وـتـنـكـشـفـ الـعـواـطـفـ الـإـنسـانـيـةـ بـيـنـ يـدـيـ سـارـتـرـ مـنـ وـرـاءـ الـمـظـاـهـرـ الـفـنـيـةـ وـالـطـبـيـعـيـةـ .

وـيـرـيدـ سـارـتـرـ مـعـ هـذـاـ أـنـ يـحـسـبـ فـيـ الـفـلـاسـنـةـ وـلـاـ يـسـرـهـ أـنـ يـخـرـجـ مـنـ عـدـادـهـ لـيـلـحـقـ بـزـمـرـةـ الـرـوـاـيـيـنـ .

اصـحـكـ مـعـ أـيـهاـ الـقـارـئـ غـيـرـ مـأ~مـورـ .

## من الشمال إلى اليمين\*

### يوميات وسنويات

قرأت في يوميات الأستاذ مصطفى أمين أن الثورة الروسية تتمحض عن ثورة أخرى في داخلها مناقضة لها في وجهتها . وأنه قرأ مقالات الصحفية العالمية مرجريت هيجنر فاستوقفه منها أن البلاد الروسية «على أبواب تطور ضخم .. وأن مالنکوف بدأ يسمح للأبناء بأن يرثوا الآباء . وأن إعلانات ضخمة في شوارع موسكو الآن تقول : ابن بيتك . ليملأك أولادك من بعליך .. ثم هناك إعلانات ضخمة تشجع العمال على التأمين على حياتهم لصلحة أولادهم ..» .

ومضى الأستاذ مصطفى في تعقيبه على مقالات الصحفية العالمية فقال إن النظام الشيوعي «كان يسهل الطلاق . وفجأة بدأت حملة في صحف روسيا ضد الطلاق تمهيداً للتحقيق هذه الإباحة التي كانت تجعل الطلاق مسألة سهلة كشراء وذكرة دخول السينما» .

قال : ومن قراءة التحقيقات الصحفية الأخيرة عن الحياة في روسيا أشعر أن هناك ثورة في داخل الثورة وأن الشيوعية في طريقها إلى تطور جديد .. . قديمة... .

وهذا في جملته خبر قديم مسبوق !

ولا ضير على الأستاذ مصطفى في هذه (التشنيعة) الصحفية ، لأن الخبر مسبوق في الأخبار الجديدة نفسها ، وقبل سنة من هذا التاريخ نشرت الأخبار الجديدة تحقيق وكيل الصحف المتحدة بعد ثلاثة أشهر قضاهما في البلاد الروسية ثم خرج منها يقول : (إنه وقف على أحضر تطور في روسيا للثورة البلشفية ... إن في روسيا الآن ثورة تتطور في هدوء وبسرعة وقد ألم هذه الثورة الجديدة في روسيا مدورو المصانع وأساتذة الجامعة والعلماء والمهندسين وضباط الجيش ورؤساء العمال ) .

\* أخبار اليوم : ١٩٥٥ / ١ / ٨ .

«آه يا حبيبي . ليتنا نضع أيدينا مع القدر على أداة هذه الدنيا الحزنة فنحطّمها بدأ ونعiedها على هوانا نشأة أخرى» .

ويختم الفصل بأبيات تاجور التى يصف بها العالم الإنساني كما يasmine :

«وحين العقل لا يخاف والرأس مرتفع

«وحين المعرفة طلقة من قيودها

«وحين الدنيا لم تتمزق أشتاتاً ولم تنفصل بجدارها الضيق حول الأوطان

«وحين الكلم ينطلق من أعماق الصدق الصراح

«وحين الجهد يبسط يديه صوب الكمال

«وحين العقل جدول لم يصل سبليه إلى صحراء العادات

«وحين البصيرة تضى بهديك إلى مجال من الفكر والعمل أوسع وأجدى

«... إلى ذلك المصير ... إلى تلك السماء الحرة أيقظ أمتى يا أبناه ..» .

غير أن العقدة كلها في الطريق قبل هذه النهاية

وفي الطريق يقول : «التبني العلمي» إن الحضارة الصناعية ستنهار ...

وتنهار لأنها تخلق السلاح

وتنهار لأنها تخلق النزاع بين الأمم والطبقات

وتنهار لأنها تستنفذ المعادن التي لا غنى عنها لتسيير الطاقة والانتفاع بقوها

وتنهار لأنها أول هدف للمقاتلين من المعسكرين

وتنهار لأنها تمسح الإنسان وتصوغه في قالب الآلات والمصنوعات

هذه حضارة تنهار ولا فرار لها ولا قرار

فما الحضارة التي تحلقها مع الزمن ، ويقوم عليها عمار الأرضن . وتأمين عاقب الفناء» .

قال ونرجله الصدق فيما قال :

إن الحضارة الآتية ...

إن الحضارة الباقية ...

هي الحضارة الزراعية كرة أخرى

ولا بد أن يضحك الشرقيون والغربيون راضين أو ساخرين ، فقد لبوا مائة سنة

سمعون أن الحضارات جميعاً صائرة إلى الصناعة والتصنيع ، ويعلمون أنه رأى

العلم وأنها نبوءة الواقع الملموس باليدين .

ويقى اليوم بعد قول الحيام قوله أبو العلاء :

تقفون والفلك المحرك دائراً ..... وتقذرون فتضحك الأقدار

وأخطر من ذلك أن «العقد النفسي» التي طلما سمعنا من الماركسيين أنها مرض لا محل له في المجتمعات الشيوعية قد أخذت تتفجر في أخلاق الجيل الجديد وعاداته على نحو لا نظير له في البلاد التي يسمونها ببلاد رأس المال.

فالخلاعة والتأنث في ملابس الشبان والعربدة الفاضحة والولع بالقامرة قد أصبحت اليوم من موضوعات العظات الدورية في الصحف والنشرات . وقد عادت الدولة إلى السماح للأباء بالإشراف على سلوك ابنائهم وبنائهم وتبلیغ المرابع الحكومية عن الشذوذ أو التهتك الذي يلاحظونه عليهم ، ومن أخبار هذه التبليغات أن أبواً وجد في حقيقة بنته مجموعة من الصور الشائنة والمناظر الشاذة فأسلماها إلى الإداره اختصه وأدى الشهادة عليها فكان جزاء البنت - وهي في السابعة عشرة - أنها أودعت دار الإصلاح وأُبيح للشرطة والأباء مما أن يلعنوا شبهاهم عن كل شاب يخرج إلى الطريق بملابس المزركشة والألوان الصارخة والأصباغ التي لا تحمل بالرجال .

### وباء جارف لا مرض متفرق /

والواقع أن العقد النفسي في البلاد الشيوعية وباء جارف لم يبد من أعراضه حتى الآن إلا القليل .

ولا يمكن أن يكون غير هذا في بلاد يحسبون فيها أن التعبيرات النفسية حيلة يخترعها المالكون لزمام الإنتاج الاقتصادي في كل مجتمع قديم أو حديث . فإنهم على هذا الحسبان يفرضون التعبيرات النفسية في الأدب والفن ويظنون أن الحكاية كلها حديثة في مكان حيلة قديمة من مخترعات رأس المال .

ومن قراراتهم أن «الفواجع» أو التراجيدية لا موضع لها في المجتمع الشيوعي ، لأنها كانت لازمة في المجتمعات التي يتخطيط فيها الفرد مع المجتمع على غير جدوى وغير رجاء .

ومن قراراتهم أن الأسلوب الطبيعي Naturalism في الفن والأدب لا موضع له كذلك في المجتمعات الشيوعيين ، لأن هذا الأسلوب أسلوب تأمل وحنين إلى الماضي حيث لا ينبعى التأمل والحنين .

ومن دواعي الحيرة للمؤلف أن الفواجع متعددة وأن المصادرات لا تباح إذا كان مدارها على نقد المجتمع ونقد ولاة الأمور ولم يكن هدفها المقصود بطلال من أبطال

وأنى أذكر هنا الخبر لأننى عقبت عليه فى حينه قائلا إن الكرة الأرضية فى العام المقبل تدور بيناً وأن خبر الوكالة الصحفية المستعجل ليس بالخبر الحديث عندنا لأننا توقعناه قبل ثلاث سنوات ، فقلنا فى رسالتنا عن فلاستة الحكم فى العصر الحديث أن كارل ماركس مخططن فى تقديراته وأن الصناعة الكبرى لا تؤدى إلى النتيجة التى تقرع غاية التعمق فى الإنماء بها وإنما تنشأ (طبقة غير طبقة أصحاب الأموال وغير طبقة الصناع والعمال تشرف على أدوات الإنتاج ولا يتأتى الاستغناء عنها فى المجتمع القائم على الصناعات الكبرى . وهذه هي طبقة المديرين الفين .. وخبراء الصناعة وما إليها ..).

### ومن عهدلينين

ولم يشعر زعماء الشيوعية اليوم - فقط - باستحالة تطبيق الخرافات الماركسيه فى عالم الواقع ، بل بدأوا يشعرون بها حين بدأوا بالتطبيق ، فأباحوا للفلاح فى المزرعة الجامعية أن يقتني بيته مع عائلته ويرى فيه دواجنه ويتركه للذوي الذين يحلون فى عمل المزرعة محله . واصطرب مدريو المصانع إلى مضاعفة الأجور على حساب القطعة وزيادة الدخل السنوى على حسب المقدرة والبراعة ثم وجدوا أن الإغراء بزيادة الأجور والدخل لا يحفز النفوس إلى مضاعفة الجهد والمثابرة ما دامت الزيارة لا تحيل لهم شيئاً غير الفضوليات . فاطلقوا العنان لتجارة الترف والزينة وأصبح من معروضات الدكاكين عندهم قوارير للعطر وأكسيه من الحرير والخمل تباع بثبات الجنينات .

### الأطوار النفسية

والأطوار النفسية أهم جدًا من هذه الظواهر المادية ، لأنها جمجمة تدل على إفلات الماركسيه من الداخل ، وتبين عن أحداث المستقبل التي لا مناص منها طوعاً أو كرها وعلى هوى الدولة أو على غير هواها .

ومن هذه الأطوار إقبال الملايين على الكتب والساعات هذه الكنائس أن تجمع النفقات لترجميم ما تخرب منها أثناء الحرب والثورة من تبرعات الصين دون غيرها لأن الدولة كما هو معلوم لا تتفق على المعابر شيئاً من خزانتها ، بل تتفق من الخزانة على المعاهد التي تفتحها وتديرها لخمارية الدين .

ومن هذه الأطوار تحول الأدباء من أدب الآلات إلى أدب النفوس البشرية ، وإعلانهم ذلك غير مرة في السنة الأخيرة ، كما لخصناه في أخبار اليوم منذ سبعة شهور .

منذ بضع سنوات كتبت أقول إن الشيوعية لا تصمد للتجربة عشر سنوات .  
فلما أعلنا في الصين أنهم دانوا بالشيوعية جاءنى من العراق سؤال نشرته مجلة  
الاثنين ينتفع بالجهل والتحدى ويسألنى مرسله : ألا تزال على اعتقادك أن  
الشيوعية لا تصمد للتجربة عشر سنوات ؟

والذى يخطئ أمثال هذا السائل فى الحركات الاجتماعية أنهم يأخذونها  
بعناوينها وأسمائها ، ويحكمون على «حسن» بأنه «حسن» لأن اسمه حسن  
بشهادة أبيه وشهادة الأوراق الرسمية وشهادة من يناديه !

والشيوعية التى أعلنت فى الصين إنما هي بقية الثورة الصينية التى نشبت سنة  
١٩١١ قبل الحرب العالمية الأولى وقبل الظروف الداخلية والخارجية التى استفاد  
منها ليسين وزملاؤه فى إقامة الحكومة السوفيتية .

ولو لم تحدث فى روسيا ثورة ولم يقم بعدها انقلاب لسلسلة الحوادث من ثورة  
سن يائسن إلى ثورة «ماواتس» وما يشبهها ، ثم لا تثبت أن تستقر على الغرار  
الصلح للبقاء بعد ذهاب الرغوة / الجملاتها عن المضم الصريح .

وسيرى المخدوعون بأعينهم أنه لا ثورة الروس ولا ثورة الصين تسفر غداً عن  
شيوعية ماركسية ، وأنها فى هذه اللحظة لا تثبت من الماركسيه مقدار ما تنفس  
وتهدى .. فلم تبق من الماركسيه اليوم نظرية واحدة يعتمدها الثقات من أساسين  
الاقتصاد ، وليس فى وسع دعاة الروس أن يللو الناس على نظرية منها وضفت  
موضع التطبيق فأسفرت عن خجاج .  
وإن غالاً الناظره قريب .

ولكن ..

ولكتنا نقول مع الأسف الشديد إن أعداء الشيوعية يخدمونها حيث يتخاذل  
عنها الأصدقاء والآباء .

فهو لاء «الديمقراطيون» الذين يزجون بأصابعهم فى كل مكان بحجة الخوف من  
الشيوعية إنما يختفون الأنفس وبخلقون فيها الريبة وبحاربون العذوان المنظور بعذوان  
واقع يكظم الصدور وينهى عنها الأمل ذات الشمال ذات اليمين .

البرجوازية أو رأس المال . وكل شيء ميسور إلا أن يضحك الإنسان بالأمر وعلى  
وفاق أحكام المراسيم .

وقد أصدرت إحدى المطابع «الأميرية» كتاباً نفذت طبعته من مؤلفات «بتروف»  
فأصابتها التوبخ والتحذير ولم تغفر عنها العاذري .

وشاع الرياء فى تلقيق الشعور الطبيعي فاستحققت الرضى والتشجيع رواية  
مدارها على بطل «مثالي» يحن إلى المصنوع قبل انتهاء أيام الإجازة ويترنم بمحاسن  
المكتنات التى غابت عن نظره كما يتربى العاشق بمحاسن ليلاه .

مثل هذا الكبت الحيواني لخواج النفوس الحية لن يكون له أثر معقول غير العقد  
النفسية التى يقولون عنها إنها مرض من أمراض البرجوازية ورأس المال !

لا جرم ينتحر ثلاثة من الأدباء النابهين هم مايكوفسكي وإيسين وباجرتسى  
ويموت آخرون فى ريعان الشبان ومنهم من يفترن موته بالريبة وتحوم الظنون فيه على  
الغible أو الاتجار .

ولا جرم يتعدى الكبت شعور الكاتب والفنان إلى شعور القارئ العزيز الذى  
يحس كابوس النفاق جائعاً على صدره ولا يستطيع أن يغالط نفسه فيزعم لها أنه  
يقرأ عمراً صادقاً عنها فيما يقرأه من أدب المكتنات والآلات .

ولا نحسب أن الصيحة التى صاحها سيمونوف وأهرنبرج والشاعر فردوسى  
والشاعرة أوجلا بدجولتز - كانت تتطلاق فى روسيا ويسمح لها بالانطلاق لولا تفاصيل  
الخطر وبلغه مبلغ التهديد والإزعاج الذى يوقظ الغافلين ويصدق تلك الأدمعة  
المليوية فتدرك على الرغم منها أن الأدب من طبيعة الإنسان لا من حيلة محatal ولا  
من تدبير العمل أو رأس المال .

### عرض زائل

ونحن لا يخامرنا الشك لحظة فى استحالة بقاء الشيوعية كما وضعها كارل  
ماركوس وإنجلز وسائر هذه الزمرة من دعاة القرن التاسع عشر ، لأنها مجموعة أغاليط  
لا تقبل البقاء ، وكلما مضى على تجربتها عام ابتعدت من قواعدها وأهدافها على  
على السواء ، ثم لا تزال تبتعد وتبتعد حتى لا يبقى منها إلا ما ينكر الماركسيين  
وينكره الماركسيون .

ثم يقول : «استعارة ماركس النطق الجدلی وهذه وتأثر بما ذهب إليه هجل من وجوب التفرقة في تفسير التاريخ بين الحقائق العميقه الهامة مثل رغبات الأمة وأمالها وبين الظواهر السطحية التافهة كالشخصيات التاريخية . . .».

ولم ينس الأستاذ أن يضيف إلى ما قدمنا «أن نجاح النظام الاشتراكي في روسيا يرجع إلى لينين ومواهبه الفلسفية العملية وأسلوبه الصلب المرن في أن واحد وقد اضطر لأن يجارى الظروف الواقعية ويحدد أحياناً عن التفصيلات الماركسيّة».

ثم يختتم الفصل بكلمة عن نبوءات كارل ماركس يقول فيها إن كثيراً منها لم يتحقق وإن علة ذلك أن الرأسماليين يتبعونهم أيضاً منهجه فيزيتون أو يخففون في نظامهم العوامل التي تدعوه إلى تدمير العمل أو إلى انهيار الرأسمالية».

والخطأ في هذا كله كبير ، وفيه مصادق لما يعتقده من خوض الأكثرين عندنا في هذه المذاهب على غير معرفة واستيعاب معتقدين على الملخصات أو القشور التي لا يفهمون منها مذهب فقط على وجه مفيد ، ولو كان كاتب هذا الفصل على علم بما يكتبه لما قال في مقدمة عن «إنجلز» شريك ماركس إنه «أحد رجال الأعمال الإنجليز» وهو المانى صميم أعرق في الألمانية من كارل ماركس الذي ينتهي إلى بني إسرائيل .

فمن الخطأ أن يقال إن مذهب كارل ماركس طبق بنجاح في روسيا وإنما يطبق في روسيا نظام لا فرق بينه وبين النظام النازي الذي كان يطبق في البلاد الألمانية ، فالطبقة الحاكمة التي ينتهي إليها لينين وستالين والملوك كالطبقة الحاكمة التي ينتهي إليها هتلر وجوليز وريبنتروب ، وتجسيد العمل هو تجسيد العمل ، وإشراف الدولة هنا هو إشراف الدولة هناك . وليس في جوهر الأمور فرق واحد بين النظاريين في غير الكلمات الجوفاء ، وقد تقاربت هذه الكلمات الجوفاء حين أصبحت العصبية السلافية ديناً للأمة الروسية تتسلح باسمه المفاخر لعظماء الروس وعلمائهم دون سائر العظماء والعلماء ، وتدخل الحرب فتسميها الحرب القومية أو الوطنية ، وتتسى القول بتفاهة الشخصيات التاريخية فتبين لزعيمها ضريحاً لم يبنه القياصرة للأسلاف «المقدسين» .

ومن الخطأ أن يقال إن المذهب المادي ينتشر «بفضل تقدم العلوم الطبيعية الباهر» . . . فإن تقدم العلوم قبل عصر كارل ماركس لا يذكر بالقياس إلى تقدمها

وكأنما الدنيا كلها قد أصبحت وليس فيها غير اللون الأحمر يصبح به الشيوعيون كل شيء لأنهم يحبونه ويصبح به «الديمقراطيون» كل شيء لأنهم يحذرون ، وتعنى العيون إذن عن كل لون وعن كل نور غير هذا البلاء الخيط .

إن أعداء الشيوعية يحسنون صنعاً في محاربة الشيوعية كلما عرفوا للألم الشرقي حقوقها ولم يتخذوا من خوفهم حجة للعدوان والافتراضات على تلك الحقوق ، ذلك الافتراض الذي لا يجدى شيئاً غير إثارة المخاوف في قلوب الآمنين .

ومن مصائب الدنيا أننا نعالج خوف الشمال بخوف اليمين ، ثم نقف بينهما حاثرين لا نملك إلا أن نتمثل شاعرنا الحكيم :  
إذا استشفيت من داء بداء فاقتلت ما أعلك ما شفاكما

### المذاهب والتعليم

في هذا الأسبوع تلقيت خطاباً من «معلم» يسألني فيه رأىي عن تدريس المذهب الشيوعية في مدارسنا ، يسألني بصفة خاصة عن فصل من كتاب عنوانه : «مشكلات فلسفية» مكتوب عن الاشتراكية الماركسيّة بقلم الأستاذ «عبد الله فراج» على غطٍ لا يرتضيه العلم صاحب الخطاب .

وأحب أن أقر قبل الإجابة عن السؤال أنني أدعو إلى تدريس المذاهب جميعاً للمتعلمين من الطلاب ولا أقيد هذا التدريس بقيد غير التحقيق العلمي والتزه عن الدعاية .

وأقر كذلك أنني لا أعرف وسيلة مقاومة الكتاب غير الكتاب ، فإن الخطأ لا يثبت على النقد الصحيح ، ولا سبيل إلى القضاء عليه أقوم من سبيل الإنقاذ . وعلى هذا الميزان - ميزان التحقيق العلمي - أعرض ذلك الفصل الذي يسألني عنه كاتب الخطاب .

رجعت إلى ذلك الفصل فوجدت كاتبه يقول : «إن الاشتراكية وجدت أكبر دعاتها في كارل ماركس الفيلسوف اليهودي الألماني الذي قدر لمذهبة أن يطبق بنجاح في روسيا الحديثة ليصبح أقوى ما أتى به الفكر السياسي تأثيراً في السياسة العالمية المعاصرة» .

ثم يقول : «إن ماركس كان متأثراً بفيلسوف مادي من تلاميذ هجل هو فوريماخ الذي رفض فلسفة أستاذ الروحية واعتبر الفلسفة المادية . وكانت هذه منتشرة في ألمانيا إذ ذاك بفضل تعلم العلوم الطبيعية الباهر» .

ولن نذهب بعيداً في الاستطراد إذا قلنا قياساً على ذلك إن زيادة في العلم بالشيوعية زيادة في العلم بآخذهاتها وخرافاتها . وأنت لا تعرف وسيلة لبيان حقيقتها خيراً من الأمانة في تعليمها . فإن وجد بعد ذلك من يتمادي في جاجاتها فليس هو صاحب فكرة أو صاحب مذهب ولكنه صاحب غرض يساق إليه أو يؤجر عليه ، ومثل هذا لا يضيرنا تعليم المذاهب على اختلافها بالنسبة له ، لأنه على الجهل أو على العلم مسوق إلى حيث يساق .

#### وردد غطائتها

وعندنا كلمة ورد غطائتها في سيرة أخرى من سير الشيوعية والشيوعيين مع كاتب هذه السطور .

والكلمة خطاب من أحدهم ينكر فيه أشد الإنكار أن الذين يخصوصون كاتب هذه السطور بحملاتهم الهزلية شيوعيون يتبعصون للشيوعية في تلك الحملات ، ويؤكد يقسم أنهم يبغضون الشيوعية لو أنهم على الأقل لا يعطفون عليها .

وليكن أصحابنا هذا صادقاً كما يشاء ول يكن زملاؤه أعداء للشيوعية لا ينكرون أنها خطر على المجتمع ولا يعطفون عليها .

مليح . وقل كذلك صحيح .

فكم كلمة مدح وجهوها إلى كاتب هذه السطور مكافأة له على خدمة المجتمع ووجهوه في حمايته ولو أغضب الشيوعيين المؤمنين والمأجورين المستخرين ؟

أليس في جهاد ثلاثين سنة في هذا الميدان ما يستحق كلمة مدح أو تقدير إذا كانت هذه الطائفة حقاً تحمد هذا الصنيع ولا تحقد عليه ؟  
والإيه ؟

كلمة مدح واحدة إن كانوا صادقين ، وندركهم قبل أن يبنلوها أو يضنوها بها فنقول لهم إننا نحول هذه الكلمة مقدماً إلى الجهة التي يختارونها ، وعليهم أن يشفعوا بها بالعنوان فلا تمضي ساعة بعد وصولها إلينا حتى نبعث بها إلى المدحدين المختارين .

في عصر بلانك وهيزنبرج وادجتون وجينز وأوليفر لودج ، ومنهم مع ذلك من تلهمه تلك العلوم أن الكون كله « فكرة رياضية » وأن المادة لم يبق منها إلا الحسبة التي تقاس بالرياضيات .

وقد وجدت المذاهب المادية قبل ألفي سنة حيث لا علوم طبيعية ولا علوم صناعية بل وجدت في الهند التي تسمى مهد الفلسفة الروحانية ، ونشأت مدرسة كارفاكا carvaka قبل عصر بودا والفلسفة الجينية ، وخلالصتها أن العلم كله علم الحواس وأن الأثير الذي يسمونه أكاسا Akasa غير موجود لأنه غير محسوس ، وأن المتعة بالحياة الدنيا غاية الأحياء ، وعصفور اليوم خير من طاووس الغد الموعود ، وإذا انحل الجسم لم يبق عقل ولا عاقل ويستوى في ذلك الحكماء والجهلاء .

وتقدمت الفلسفة المادية في بلاد اليونان على الفلسفة الروحانية أو المثالية في تاريخها وترتيبها ، وظهر بين العرب الجاهليين من يقول كما جاء في القرآن الكريم « إن هي إلا موتنا الأولى وما نحن بمنشرين » .. ومن يقول : « .. ما هي إلا حياتنا الدنيا ثغوت ونجها وما يهلكنا إلا الدهر »

وليس في وسع باحث في العصر الحاضر أن يزعم أن الفلسفه الماديين أكثر أو أكبر من الفلسفه المثاليين . وهذه الفلسفة المادية الجليلة نفسها لا يوجد في العالم فيلسوف معدود من دعاتها المؤمنين بها . ولا استثناء لروسيا الشيوعية إلا في أسلوب المخاتلة والمداراة .

أما أن نبيات كارل ماركس لم تصدق لأن الرأسماليين قاوموها فذلك غير صحيح وإنما الصحيح أنها لم تصدق لأنها تناقض الواقع مناقضة القطبين المقابلين ، وخلافاً لما قال قد رأينا البلاد التي سلمت منها البلاد المقدمة في الصناعة الكبرى والتعليم ، وأن نسبة انتشار الشيوعية عكسية على حسب التأخر والجهل والإهمال فأسلم الأمم الأوربية من الشيوعية هي أكثرها صناعة وثقافة ومعرفة بالحقوق ، وعلى نقیض ذلك سائر الأمم التي تعرضت من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب .. ولم تغلب الشيوعية حتى اليوم أمة بعيدة من جوار روسيا وسلطانها المتحكم فيما حولها ، ولم تغلبها الشيوعية إقناعاً بل غلبتها بحكم ذلك الجوار وذلك السلطان .

وقد راجت قصة من القصص لأن امرأة متزوجة كتبتها لتذكر فيها علاقاتها وغواياتها ومقدمات تلك العلاقات والغوايات على علم من زوجها قبل النشر . وبعد النشر بطبيعة الحال .

ومثل هذه القصة لو تحولت إلى مناظر من الصور الشمسية الخلية لصادفت من الرواج ما صادفته القصة المكتوبة وزيادة .

وانه لغافل أو مخطئ من يقول إن القصة بدعة حديثة بين الفنون الإنسانية فإنها أقدم ما عرفه الأطفال في المهد والعجائز حول موائد الشتاء ، ولكن الأقدمين كانوا على شيء من الوعي فتركوها في مكانها بين الأعيب الأطفال وثڑة العجائز . ومضت ألف السنين ولم يبق من تلك القصص أثر ولم ينقص منها شيء يحس بقصصه ، لأنها تختبر من جديد على نحو واحد في كل جيل ، ثم تعاد على النسق القديم .

ومنذ مائة سنة قيل ما قيل عن بدعة القصة في عالم الفنون . فظهر منها ما ظهر واختفى ما اختفى ، ولم يبق من الظاهر المؤثر إلا الذي يقرؤه طلابه لغير القصة التي فيه : يقرءونه للصور الشخصية أو للدراسات النفسية أو للقدرة على خلق المواقف والتعبيرات .

ثم ندر هذا النوع من القصص الرفيع ولا يزال يندر في الأعوام الأخيرة ، فعسى أن تكون هذه الندرة مؤذنة بزوال سلطان الجهلاء والغوغاء على الفن والأدب والثقافة . ويدعونا إلى التساؤل أن الإعراض عن القصة يصحبه إقبال على موضوعات أخرى تجمعها كلمة جامعة التعريف بالحياة وبالعالم وبأسرار الأرض والسماء ، ومنها كتب الكشوف السماوية والتاريخية وكتب البحوث في الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وكتب النفسيات والخصائص التي ركبت في طبائع الأحياء .

وإذا كان هذا هو البديل فليس انصراف الناس عن القصة دليلاً على إهمال العواطف والنفسيات . ولكنه دليل على إدراك هذه العواطف والنفسيات من طريق غير طريق التسلية وتزييف العاطفة بغراائز الشهوات .

#### والشعر ينشط

ومن الدلائل الحسنة أن الشعر ينشط في السنة الأخيرة ، وأن عوامل البناء فيه أكبر من عوامل الهدم والفساد .

## ألوان التأليف في الغرب .

أما في هذه المرة فهو كشكوك كبير بمعنى الكلمة وبأكثر من معنى الكلمة ، لأنه تصنيفة من الكتب لا يرسم لها طابع واحد ولا تلتقي منها عدة كتب تحت عنوان واحد إلا بشارة عظيمة ، ولكنها على ذلك يمكن أن تدللنا على اتجاهات واضحة في في الكتابة الأوروبية منذ سنتين أو على اتجاهات واضحة في السنة الرابعة والخمسين بعد التسعينات بعد ألف للميلاد .

قطح في القصة . نشاط في الشعر . كثرة في كتب الكشوف على أنواعها . عناية بدراسة النفسيات التي تشمل طبائع الأحياء من الإنسان إلى الحشرة إلى ما دون ذلك .

#### قطح في القصة

فانصراف القراء الأوروبيين والأمريكيين عن القصة ظاهرة محسوسة مقدرة بالأرقام وعليها شاهدان من كلام النقاد ومن إحصاءات الناشرين . وكلها يدل على انحدار سريع في الكم والكيف كما يقولون في لغة المناظقة . أو انحدار سريع في عدد القصص التي ظهرت وعدد النسخ التي وزعت منها وقيمة هذه القصص من الوجهة الأدبية والوجهة الفنية على السواء .

وكاتب هذه السطور أول من يتفاعل بهذه الظاهرة ، لأنني أحسن من مبدأ الأمر أن أساس الإقبال على القصة كسل في النفس وتقديم للتسلية على الذوق والفهم والشعور الصادق ، وأن جمهور القصة الشائعة عم طوائف الجهلاء وأشباه الجهلاء ومن يتخلدون القصة بدليلاً من حلبة السجائر أو تكلمة لها عند الضجر من التدخين .

وفي القصة نوع رفيع - بل رفيع جداً في بعض الأحيان - يكتبه عباقرة الفن وأقطاب البلاغة ، ولكنه يضيع بين القصص التي يطلبها الجهلاء وأشباه الجهلاء ، ويحسب قراؤه بالثبات حيث يحسب قراء المهازل والخزعبلات بمئات الآلاف .

روح طيبة لا ريب فيها فعنها تأثرت  
وكل ما نلاحظه عليها أنها تتفاهم مع البشرية كأنها في ناد أو نزهة خلاء . وقد  
كان شعراء أمس ينضمون لجنوبيتهم من بين الإنسان كأنهم أبناء بيت يشتركون في  
أعراضه ومامته وفي وفره وفقره وفي سره وجهره ، فاما هؤلاء الشعراء الذين تحدث  
عنهم البشرية عندهم «أعضاء ناد» لا يباح فيه للعضو المهيّب إلا إشارة يلفت بها  
الزميل المنعى إلى منظر هنا أو صيحة هناك ، ثم يكتفى بالإشارة ولا يتطرق الجواب .  
على أنهم ، بعد كل ما يقال ، خير من شعراء البشرية التي يفتح فيها التكمل  
فمه ليقول إنه لا يهتم بمن يخاطبه وأن من يخاطبه لا يهتم به ، والسلام عليكم  
ورحمة الله . أو لا سلام ولا كلام ولا رحمة ولا لعنة ولا يحزنون ولا يغرون .

قرأت للأديب الاستاذ أنيس منصور في إحدى أسبوعيات القرية الكلمة يسأل  
فيها : هل يوجد فمن بغیر قواعد ؟

يا سيد أنيس .. لا يوجد في الدنيا ولن يوجد لعب ، بغير قواعد معلومة  
للاميين . فما ظنك بكرة القدم التي تلقى في كل الجاه ؟ وما ظنك بالشطرنج الذي  
ترمى حجارته أو تتغير بحجارة أخرى في كل دور ؟ وما ظنك بالسباق من غير  
مجال ومن غير مسافة ومن غير ميعاد ؟

يا سيد أنيس .. القاعدة مع من يطلب الفن بغیر قاعدة أنك تصفعه على ففاه .  
أما أن تناقضه مناقشة الجد فمن طول الباي الذي قد يطلب من عباد الله  
الصالحين في الصوامع ، ولست منهم ولا تحن بحمد الله .  
نعم . وتحمد الله أيضاً لأن الشعر الجديد يفتح باب الأمل في زوال الفوضى  
على الأقل ، فلا شيء غير الفوضى بغير قواعد وبغير حدود .

#### كشف الأرض والسماء

أما السبيل الذي لا ينقطع بالقياس إلى هذه الجداول والقنوات فهو سهل الكتب  
التي تصدر عن الكشف بأنواعها ، وهي في هذا الزمن كثيرة الأنواع .

الكشف السماوية والرحلات بين الأفلاك العليا .  
والكشف في أعماق البحر ، والكشف في قمم الجبال ، والكشف عن أصل  
المادة وجوف الارض ، والكشف الحفرية عن آثار الأقدمين وتاريخ الأم والمخارات .

رأى لا تخذم به ولا تعجل بقوله على علاجه . ونحب أن نعلقه على ما بعده  
حتى يتبع الخيط الأبيض من الخيط الأسود في هذه الظلمات .

إن المجموعة التي بين أيدينا تختار مائة قصيدة من نحو عشرة آلاف قطعة لالف  
وستمائة ناظم .

فالرأي الذي نراه يصدق على نخبة من هذه القصائد المختارة ، ولكننا لا ندرى  
 شيئاً عما ورآها من الثات المرفوضة والأسماء الخاملة . فلعلها من صنف آخر لا  
يشبهها في تزاعاتها وأساليبها ، ولعلها من هذا الصنف ولكنها تختلف بتصنيبها من  
الجودة والإتقان ..

لا ندرى ..

وإن كنا نستطيع أن ندرى يقيناً أن اشتغال ألف وستمائة شاب بالنظم علامة  
على اهتمام لا شك فيه بالشعر وموضوعاته التي لا تشاركه فيها الفنون الأخرى .  
ونقول ألفاً وستمائة «شاب» لأننا نرى في المجموعة أسماء أناس ولدوا بعد سنة  
١٩٣٠ ولا نرى فيها إلا القليل جداً من بلغوا الشيخوخة وبدأوا بالنظم قبل الحرب  
العالمية الأولى .

فهذه النخبة إذن ترجمان صادق للنزعة الفنية وعلامة على روح جديدة في  
النظر إلى الحياة ، وتمثل هذه الروح في العطف على الطفولة وفي العطف كذلك  
على السلف الذي باد أو كاد يبيد . ومن أمثلة ذلك قصيدة يقول ناظمها إنه يروي  
للشيخ الذين يسمعون كلام الآباء عن فجائع الحرب الأولى كأنهم يتكلمون عن  
حرب طروادة ووقائع الرومان ، لأن كلامهم هنا ينزع من حياة المجاهدين قطعة حية  
ليحييها سيراً من الأسماр .

وموقفهم ما وراء الحياة لا يصدق عليه وصف اليقين والإيمان ولكنه لا يدخل في  
باب اليأس المصطنع أو الهدم أو الهدم المعتسف أو قلة الاكتراث المقصودة في الباطن  
بأكثر شديد .

وقد تصور هذا الموقف قصيدة في المجموعة يقول ناظمها إنه لا ينتظراً آخر النهار  
إلا أن يسمع منه قبل احتجابه صفة بلية ما حدث فيه واستحق الذكرى  
والتعبير . فإذا جاء الليل بعد ذلك فلتغمض العينان في انتظار الأحلام ، أو على  
انتظار كيف كان .

المرخة ، ولا سيما الأسلوب الذي تصف فيه حفلات الفلاحين وأغانيهم ومراقص الرجال والنساء في الصعيد .

ولعلها جاءت فيه بعلمومة عن الرعن الصعيدي تعتبر عند المصريين من أهل الصعيد والريف خبراً مفاجئاً لم يسمعوا به قبل الآن.

ففي إحدى الحفلات التي أقامها الفلاسرون لتدوير البعثة يرقص الفتىان رقصة تعجب الحاضرين والحاضرات ويقول أحدهم «رالف» متسائلاً:

- أين يا ترى شهدت هذه الرقصة بعينها ؟ أين رأيت هذه الخطورة بعينها وهذه المحركلات من التراوين بعينها !

ثم يذكّرها بعد هنّيّة فيصيّح قائلًا: عجًّا! إنّها هي بعينها رقصة موريس التي رأيتم يرقصونها في إسكس.

قال أحد أعضاء البعثة واسمه جون : «أحسب أن موريس تصحيف لكلمة Moorish .. وكانتا تنظر هنا إلى الرقصة في منشتها الأصيل قبل وصولها إلى بلادنا من البلاد العربية ، وقد كان الأوروبيون الأقدمون يطلقون اسم المغاربة أو Moors على كل منسوب إلى العرب والمسلمين .

ثم قال: هذا أو رعاً كانت بعض ما عاد به الصليبيون من الشرق إلى البلاد الانجليزية!

وأنه لغريف حقاً أن يقدم الكشافون من إنجلترا للبحث في أرض الصعيد  
فيكتشروا عن تاريخ بلادهم نفسها قبل تاريخ هذه الأرض المباركة ، ويتذكروا  
فتتفهم الذكري .. ولعلها تتفننا أو تنفع الذين يوقصون منا .. ويحسبون أن كل  
خلوة يخطوها يوقصون على سطح الكرة الأرضية تستحق منهم أن يتعلمونها  
ويتعمدوا في تعليمها .. إلا الخطوات على الأرض المصرية في الجنوب أو الشمال ..  
**الذئاب**

ونختار من كتب الدراسات النفسية كتاباً قيماً عن نفسية الحيوان .

إذا وجدت بين نبذتي كتاباً عن الفلسفة الإنسانية، وكتاباً عن طبائع الحيوان فقليلًا ما يساورني التردد في السير بالكتاب الذي، بعنه، شئنا: طبائع الحيوان.

وَمَا وَصَلَ إِلَى مِصْرَ مِنْ هَذِهِ الْكَشُوفِ الْأَثْرِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ مَصْنَفَاتٍ بِأَقْلَامِ الْمُشْتَرِكِينَ فِي الْخَفْرِ أَوِ الْبَاحِثِينَ بَيْنِ طَريقِ الزَّمْنِ الْقَدِيمِ عَنْ كِتَابَاتِ التَّارِيخِ.

منها كتاب جديد يقلّم ليونارد ولّي حجّة الباحثين في حفائر العراق عن تاريخ  
أبراهيم الخليل خطّه كلام لعلّه

ومنها طبعة جديدة لهذا المؤلف لكتابه الذى جعل عنوانه «مدن ميّة وأثاث  
أحياء» وتكلم فيه عن حضارات في مصر وإيطاليا وتركيا والعراق ، ومنها كتاب  
شامل عن فنون الإنسان من أقدم الأزمان .

وأظرفها كتاب بعنوان «النفيسي عاشت هنا» للنسيلة ماري شوب التي أفرمت  
بخل الصماردة وتعقبت النفيسي في كل بقعة من الأرض خططرت عليها بقديمها.

وتحلّيغُن هذه الكتب جمِيعاً تَقْبِيقاً عن الصفحات ، ولِكُنْتُنا نَعْبُرُها بِكلمةٍ عن كلِّ كتابٍ فِي الطريقِ عَلَى مُسْبِيل التَّحْمِيَةِ مِنْ قَرْبٍ .

فالكتاب الذي أثبت قيمته «روائي» لقاياه وأشار إلى لقایا الآخرين خلائق أن يعلم المتعلّقين درساني أكب القلم فلا يسرع أحدهم إلى كل خبر من أخبار الأولين بالكتيب والسمحريه ويتواضع تليلاً ليفهم أن الصحيح في تلك الأخبار أكثر من صحيح أخبار هذا العصر الذي نعيش فيه.

والطبعية الجديدة حين يكتشف مصر وإيطاليا والشرق الأوسط تعيد القدم من  
هؤلئكها. جديداً للبشرية كلما لم يسمع به قبل الآباء، ويعرف ما فيه عن الأحياء  
أصحاب من حكايات الموتى، الخالدين وللوقت المتبقيين. وإن <sup>في</sup> <sub>ذلك</sub> <sup>شيء</sup> <sub>يذكر</sub>  
والكتابات الشاملة لمن فتوح الإنسان من أقدم الأتمان يسجل الكشف حتى لا  
شك فيها والكشف التي جمعوها الشك، الكثرة، وعلق حيث <sup>كان</sup> <sub>كان</sub> <sup>عنده</sup> <sub>لكشوف</sub>  
الشكوك فيها نعلم أن أمريكا وأفريقيا الجنوبية ومعاجمل القراءات جميعاً قد يكشفى  
مرات قبل عصر كولومس وفاسكوندی خاما ولنجدستون، ونعلم أن مصر قد كانت لها  
اليد السابقة في معظم هذه الكشفوف.

**رسن الصعيد في إسكس** Essex  
وكتاب السيدة «ماري شوب» عن معاهد تفريتني ومؤلفها قصة حقة تتبع  
بالخيال، وأسلوبه الذي اختارته السيدة تغلب في عواطف المرأة على حقائق العالة

قتل كل وحش من نوعه يستسلم له في صراعه لأنقرض النوع بعد بضعة أجيال وانعكس الأية من تزويده بذلك السلاح .

و هنا يسمع العالم لنفسه بقليل من الفلسفة ، فينتقل من عادة الحيوان إلى عادة الإنسان في الحروب بين القبائل والأمم ، ويبدو له أن المصيبة مع هذا الإنسان أن سلاحه غير مركب في بيته وأنه يصنعه بيديه ليقتل به عدوه ، فلا يقتصر بالدفاع ولا يمنعه مانع أن يشنط غاية الشطط في استخدام السلاح .

و سأله صحيفة نسوية أن يكتب لها فصلاً عن « التسلیح بين الإنسان والحيوان » فكتبه وختمه بهذه السطور !

« سيأتي اليوم الذي تقف فيه الأمم فريقين متناحرتين ويواجه كل فريق منها فرصة سانحة للقضاء على عدوه . وسيأتي اليوم الذي ينقسم فيه نوع الإنسان بين معسكرين متناحررين . فهل تراه يسلك يومئذ مسلك الحمام أو مسلك الذئب ؟ » .

و ظاهر أن الأمل الوحيد مرتهن بحكمة الإنسان وإشارته مسلك الذئب على مسلك الحمام ..

وصدق أبو العلاء حكيم كل زمان حيث قال :  
ظلم الحمام في الدنيا وإن حسبت      في الصالحات كظلم الصقر والبازى  
ولم يخل في حكمته من محاباة ، لأنها على قول سليمان الحديث أظلم من الصقور والبزاء ..

رسكلة إلا أبداً يطبّاع الحيوان لأنها أفضل من خلائق الإنسان ، ولكنني أبدأ بها لأنها في رأيي كالسودة التي تكشف لنا المعايير الخفية قبل التقسيع والتعديل ، وأبدأ بها لأنها أبسط من التركيبة الإنسانية التي تخدعنا ونغالط فيها أنفسنا ، ولا خداع ولا مغالطة في طبائع الحيوان الأبكم ، من طريق الكلام أو غير الكلام .

عصاية هذا الكتاب الدكتور كونراد لورنز مرجع متوفيق به في لغة الطير والسباع وسائر الأحياء .

.. « وأ Victim كتابه الخامن سليمان ، لأن سليمان الحكيم كان يعرف لغة الطير بفضل هذا الخامن للعجز . وصاحبنا يجب أن يزعم أنه قد عثر بنسخة من الخامن القديم مفرغة في قلب جدّيث يفهم أحياه هذا الزمن كما كان سليمان يفهم أحياه زمانه .. ولا فرق في النهاية بين الفريقين .

وليس في المختصين بدراسة من يذكر على الرجل دعواه ، فإنه يستطيع أن يناغى كل طائر بلهجته وخصوصاً نطقه فيجيبيه الطائر ويصدع بأمره ، ويتفق أحباً أن يفاجئه بعضهم وهو يخاطب الإوز سهواً بلغة البط أو البعج أو طيور الماء ، فيسرع معترضاً كأنه يخاطب إنساناً بلسان غير لسانه : عفوا . عفوا .. إنما أردت أن أقول حوكك .. كوكك .. إلخ ..

هذا سليمان الحديث يروي لنا تجاربه مع الأحياء الصاربة الخفية والأحياء الولعنة الأليفة ، ثم يتوخى منها بخاتمة منفحة لا موضع فيها للفلسفة ولا للمجاز والكتابية ، وإنما هي صورة حرفية لما رأى وأعاد رويته ستوات بعد ستوات ..

من تجاربه أن الحمام لا ترجع عن حصفها إذا حبست معه في نفس واحد حتى تمحى عليه ، وأن السابع عامه تغير على سنة غير هذه السنة في صراعها مع ابنه نوعها ، فلا يعتقد الذئب على الذئب الذي يقاتله إذا استسلم له هذا وطاعت أممه بعنقه ليكشف له مقتله ، وهو قادر على قتله بعضة واحدة لو شاء ..

ولكنه لا يشك ، ولم يحدّث لم يكتبه عنه هذه السنة في كل ما شاهده صاحب الكتاب أو لصفع به من مملائكة في هذه التجارب العلمية ..

ولا يجزم الرجل بتعليق بهذه الحادثة العجيبة ، ولكنها يقول على سبيل الترجيح إن سلاح الذئب مركب في جسمه وإن كل تركيبة في جسم الحيوان فإنها يزاد بها حفظ النوع وتنتهي مهمتها إذا فرغ الحيوان من الدفع عن نفسه .. ولو أن الوحوش

## قصور الفلسفة \*

من يكتب في هذه المقالة إلى «قصور الفلسفة» .. أو مباحث الفلسفة على قولين .

وكلاهما اسم كتاب واحد تبدل اسمه باختيار مؤلفه الكاتب الأمريكي «ديبورانت» ومترجمه الأديب المصري الدكتور أحمد فؤاد الأهوازى .

وأمينتنا للكتاب في ترجمته العربية أن يصيغ من الرواج مثل نصيبيه بين قراء اللغة الإنجليزية ، مع حفظ النسبة بين تعداد قراء اللغتين .

كان ابن رشد يسمى الشارح وكفى ، فإذا قيل الشارح فلا حاجة إلى التسمية . ولو أردت أن تطلق على كتاب حديث لقب الشارح لكان «ديبورانت» صاحب هذا الكتاب أحق الناس به غير مدافع ، لأن يحسن الفهم والشرح والتلخيص على نحو نادر بين كتاب الفلسفة ، فيقبل القراء على كتبه بالألاف وعشرين ألفاً ، وربما بلغوا مئات الألاف إذا صدقنا إعلانات الناشرين ، وهل تواهم يكذبون على عمال الضرائب إن كذبوا على القراء والنقاد ؟

وقد طبع أحد كتبه «قصة الفلسفة» في طبعة جيبية فراج رواج القصص الغرامية أو البوليسية ، وفتح الأبواب لرواج الكتب المنوعة من هذا القبيل .

وأحسن الدكتور الأهوازى ترجمة الكتاب في معانيه ومدلولاته ، وواجه مشكلة المصطلحات بأمانة مشكورة لأنه شفع الاصطلاح المترجم بالأصل الإنجليزى فمن رجع إلى الأصل لم يفته المعنى المقصود ، وقد يحاول مع الترجمة محاولة ناجحة للتعديل والملاحظة والوصول إلى المصطلح المتفق عليه .

ونحن نبدأ من البداية باسم الكتاب أو باسميه ، وهو الاسم الأول في طبعته الخاصة والاسم الثاني في طبعته العامة أو الشعبية .

الاسم الأول Mansions of Philosophy ترجمة الدكتور الأهوازى بقصور الفلسفة ونحن نفضل كلمة الصروج على كلمة القصور في هذا المعنى لأننا أفتنا

في التعبيرات العربية أن نستعير الصروج للمعاني المفهومة وللمباني المحسنة فلابد في لغتنا أن يقال «بنياً صروج» الجد أو صروج العلم أو صروج الأخلاق» ولكننا لا نقول قصور الجد أو قصور العلم أو قصور الأخلاق ، وهذا فضلاً عن التباس القصور بالتقسيم والعجز ، إذ يسبق إلى ظن القارئ أن المقصود بقصور الفلسفة عجزها أو تقسيمها عن المطلوب منها .

والاسم الثاني Pleasures of Philosophy يغير بكلمة «المسرات» ترجمة له لأول وهلة ، ولكن الدكتور الأهوازى أحسن بالعدول عن هذه الكلمة لأنها قريبة إلى الحسية وأحسن كذلك بالعدول عن الكلمة «اللذات» لأنها قريبة إلى الشهارات ، وفضل عليها الكلمة «مباحث الفلسفة» وهي في الحق أفضل منها لولا أنها أقوى من المعنى المقصود بها حين تنسى إلى الفلسفة على الخصوص ، فإننا نطمئن كثيراً إذا انتظرنا من الفلسفة أن «تبهجنا» ولم نقنع منها بما دون ذلك ، وعندنا أن «متعة الفلسفة» أو «متع الفلسفة» أقرب إلى تصوير الارتياب المعقول من المطالعة الفلسفية ، وليس بالجديد في كتابنا العربي أن نذكر المتعة والإمتعاع في الموضوعات التاريخية والدينية والأدبية ثم فإن كتاب «إمتع الأسماء» للمقريري موضوع في أخبار النبي عليه السلام .

وهنا وهناك كلمات نلاحظ عليها أنها لا تتطابق معناها كل المطابقة ، ومنها أن المترجم نقل كلمة الأسباب الريدية أو السيدة فسماها الباطلة (ص ١٦) ولا يلزم من السبب الريدي أن يكون باطلاً وإنما يلزم منه أنه غير مستحسن وكفى ، ونذكر لهذه المناسبة أن موظفاً - ليقاً - غاب عن مكتبه يوماً وسأله رئيسه عن سبب غيابه فقال له إن السبب الصحيح هو السكر والعربدة والتاخر في النوم إلى ما بعد ميعاد الدواين ، ولكنه سبب ردء وإن يكن هو السبب الصحيح .. فالردء يقابل الحسن ، والباطل يقابل الصحيح ، والفرق ظاهر بين ما هو حسن وما هو صحيح .

وكلمة الاختلاج أو كلمة الانتفاض أوفق إلى كلمتي الهوس الاهتزازي في ترجمة Delirium tremens ... وربما كانت كلمة الهوس أوفق بكلمة Obsession التي ترجمها الدكتور بالتلبس ولا دلالة في التلبس عليها فإن كان المقصود عيناً أدبياً ، ولم يكن مرضًا عصبياً فكلمة «اللجاجة» أوفق الكلمات لما يراد من العبارة الإنجليزية لأنها يراد بها أن المرأة تلتج في غرض فلا تدعوه أو في خاطر فلا تخيد عنه ..

## مباحث النحو والصرف

وعلى هذا الاختلاف بيننا وبين الأستاذ المترجم نود أن نستعير منه كلمة المباحث للمسائل النحوية الصرفية كما استعارها للمسائل الفلسفية ، عسى أن توسع ملاحظات النحو والصرف على مقدمة الكتاب ولو بعض التسويغ .

فمن سهوات العارفين تلك الفلتات التي جاءت في مقدمة الدكتور إبراهيم مذكور فكانت أحق شيء بالتبني ، لأنها من غرائب السهو إذا لم تكن في السهو غرابة في كثير من الأحيان .

يقول الدكتور : «إنا نتساءل إذا كان من اليسير أن يقدم له الدواء»

وجواب «إذا» في هذه العبارة غير مذكور وغير مقدر ، ونحن قد نقول مع زهير :  
بدالى أنى لست مدرك ما مضى      ولا سابقاً شيئاً إذا كان آتيا

تفهم جواب «إذا» من الكلام السابق ، ويكون المقصود «إنه إذا كان المقدور آتيا فإننى لا أسيطر عليه» .

أما أن نقول مع الدكتور «إذا كان من اليسير أن نقدم له الدواء فتحن نتساءل» فهو كلام لا يستقيم . . . بل يستقيم الكلام بغير حاجة إلى الجواب حين نقول :  
«تساءل هل يقدم له الدواء»؟ .

وقال الدكتور مذكور بعد ذلك : «في كتاب مباحث الفلسفة جهد كبير وعرض شيق» .  
والشيق هو المشوق أو المشتاق ، وليس الكتاب مشوقاً أو مشتاقاً ولكنه شائق يجعلنا نحن مشتاقين إليه أو شيقين .

وقال الدكتور : «وهو أديب بقدر ما هو فيلسوف» . . . وتلك محاكاة عرقية للتعبير الأجنبي ، وإنما المألف في التعبير العربي «أن حظه من الفلسفة كحظه من الأدب» أو أنه «على نصيب سواء من الفلسفة والأدب» أو أنه «يحسن الفلسفة كما يحسن الأدب» . . . ولا بأس بالمحاكاة الحرافية إذا لم يكن في العربية ما يغنى عنها . فإن أغنت عنها العبارات العربية فهي أولى .

وحسبنا هذا من مباحث الفلسفة ومن مباحث النحو والصرف . مع رجاء المعندة من يرفعون كلمة المباحث ويضعون في موضعها المزججات ، ولو لا أنها لا ت hubs أن تتسع الفجوة بيننا وبين القريبين لتركتنا مباحثهم وأبعدنا مباحثنا عن الفلسفة واللغة ، ولكنهم إذا أفلحوا في ترويج الفلسفة بين مئات الآلاف من قرائهم فلنطع في بعض هذا الرواج عندنا ، ولتكن بساطة اللغة بيننا من المفهومات التي تدرك لها أسباب لا ترتفق على النهاة .

## الإمامية عند الإماماعليين \*

### من الجنوب الشرقي

أين نضع أسوان حين تتكلم عن الجهات الأربع ، أو عن الشرق والغرب ، كما تتكلم الآن ؟ .

ليست من الجنوب بالموقع الذي يقابل الشمال ، ولكنها إذا وضعت في الجنوب «الشرقي» لم تبعدها عن موضعها الصحيح .

ولقد عدنا من أسوان بالأمس وسمعنا فيها أحاديث الشرق والغرب ما يلحق «بالعلمييات» على هذا المنوال ، ومنها حديث أغاخان .

كان «أغاخان» يحضر للصلوة في مسجدها فوصل قائمًا مع الجماعة لانه لا يستطيع الركوع والسجود .

وسأله : هل ينوى حقًا أن يجعل ابنه على خان من ولاية العهد على الطائفة الإماماعليية ؟ فنفى الإشاعة ، ونفأها من حوله بعض الأتباع .

وسأله هناك سؤالاً كهذا ظنوا في كتابتي عن إمام الإماماعليية وعن مفكراته ومساعيه أتنى أعرف من شأنه ما يسوغ ذلك السؤال .

ولكن الواقع أن معرفة أغاخان ليست للإفتاء في هذا الموضوع : موضوع ولاية العهد بين الإماماعليين على التخصيص .

فالطائفة الإماماعليية كلها قد نشأت لأنها انكرت التبدل والتغيير في ولاية العهد من أيام جعفر الصادق إلى أيام الخليفة المستعلى ونزار من خلفاء الفاطميين . فقد كانت ولاية العهد الإماماعلي بعد أبيه جعفر الصادق فحولها جعفر إلى موسى الكاظم لأنه سمع أن إماماعلي لا يلتزم الأوامر والنواهي التي ينبغي أن يلتزمها الإمام ، فأبى أناس من أتباع جعفر أن يتبعوه في هذا التحويل ، وقالوا إن الإمام يتلقى وحيه من الله وأن الله لا يجوز عليه «الباء» أي إبداء الرأي والعدول عنه إلى غيره .

\* أخبار اليوم : ٢/١٩ : ١٩٥٥ .

وكل ذلك انشق حسن بن الصباح وانصاره على العاطميين حين اختيروا ... س.  
للخلافة بدلاً من نزار.

شَرْقٌ .. وَغَربٌ

- انتهى عصر الحفنة .
- لماذا اعتقو مالنکوف ؟

عصر الحفنة

مفسى على ما نعتقد «عصر الحقيقة» المتباهة أو «المفهوة» في عصر النهضة الشرقية.

مضى عهد المفاخرة بالحق وبالباطل لاستهانة الهم واستشارة النخوة وتحريض العزائم على محاكاة الأجداد والتشبه بهم في الجد العربي .

مضى عهد الحسنة التي نأمن أوائلها عواقب الإفراط فيها إذا عولنا عليها وحدها  
ولم تغدو علم، قوة البنية ومنعتها

أما اليوم فنحن في عصر «الغذاء الصحي» الذي نختار منه للبيئة ما ينفعها وما تعتمد فيه على وظائفها الصحيحة وقدرتها التي لا شك فيها.

ولهذا يكفيانا أن نقولاليوم ونحن على يقين أن ظهور الأديان في الشرق دليل على اهتمام الشرق بالروحانيات وشعوره بال الحاجة إليها ، وحسبنا اليوم أن نحافظ على هذه المزية التي لا غنى عنها في عصرنا هذا على الخصوص ، لأن العصر الذي أفرط ، غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً ، في عبادة الماديات .

أما أنا نحن الشرقيين قد احترقنا المادة قديماً أو حديثاً فيفتح الله ثم يفتح الله . هذه «ألف ليلة» وما شابهها من كتب الشرق تفيض بالمآدبيات و«الحسينيات» التي لا فرق بينها وبين الغرق في بحار المادة والحس فعلاً إلا أنها موقوفة التنفيذ . وهذه أسماء «السيف» يقال إنها بلغت المئات في اللغة العربية فلا يفهم من ذلك ، بداعة ، أنه حليل على «الموت في حب السلام» .

فإذا اتبع أغاخان تقاليد أسلافه فليس من حقه أن يبدل ولاية العهد إن كان قد أعلنتها قبل الآن.

إلا أن التأويل والتخرير لا يعدمان الحجج والتراث بين فقهاء الأديان ، ولو لا ذلك لما وقع الخلاف بين الإمامين والإسماعيليين ، ولا بين الإسماعيليين أنفسهم منذ أيام شيخ الجبل حسن بن الصباح .

وبنوى أغاخان على ما علمت أن يبني له قصرًا في أسوان وضريحاً لثواه الأخير  
بعد عمر طويل ، لأنه أعجب بهوائهما كما أعجب بترابها ، بعد ما عاينه من أمانته  
في المحافظة على رفات الخالدين .. !

إن صع هذا فسوف تزداد معاهد الأديان كمية جديدة في أقصى الصعيد، وسوف يقال إن البلد الذي اشتهر في العالم بالإشعاع المعدني سوف يشتهر بشعاع جديد من الأشعة الروحانية، بين طائفة ذات خطر على الأقل في إفريقيا الشرقية وفي الهند: وهي طائفة الإسماعيليين.

والإنسان الشرقي هو الذي وجدت معه صنوف الآلات التي لم توجد مع إنسان في القارة الأوروبية ، فهو صاحب فضل في الاختراع الأول من أعرق الأصول .

وقد وجدت أصول الخيل والإبل في القارة الأمريكية ولكنها لم تعرف كيف تستخدمها قديماً حتى عادت إليها بعد كشفها الأخير .

ولا خلاف على فضل الشرق في مخترعات وادي النيل ووادي النهرين وشرق البحر الأبيض ، فليس للغرب إذن أن يستطيل بدعواه من أجل مائة سنة ، وليس لنا نحن الشرقيين أن نستطيل عليه باحتقار المادة ولا سيمماً في هذا الزمان ، فإن أكثر ما نستطيع به من ذلك «قصر ذيل» ... وحسبنا أننا سبقناه إلى العناية بالروحانيات وسيقناه إلى القدرة على الاختراع .

فإذا جاء الغد وكتب لنا أن ننقذ العالم بروحانية جديدة من حاضرنا أو ماضينا فليقل يومئذ من شاء ما يشاء وربما أغناه حسن الفعال عن حسن الشاء .

### ومن الحضارتين إلى الكلتتين

ولا بد من حديث الكلتتين بعد كل كلام يدور على الشرق والغرب في هذه الأيام ، فإنه المدار الذي ينطوي فيه العالم بما رحب ويدور على عقبيه كما يدور إلى الأمام في طريق المستقبل الجھول .

ذلك حديث الصراع بين زعماء الشيوعيين بعد موت ستالين وما سيكون له من الأثر في علاقات الأمم وفي علاقات الحرب والسلم على التخصيص .

ولقد توسيع صيغة العالم في التعقيب على هذه الأحداث الخطيرة وقبلت ما يعرض لها من الاحتمالات على جميع الوجوه من ناحية السياسة بين الدول الكبرى فلا تنوى أن تعرض لها من هذه الناحية في هذا المقال .

ولكتنا نراها أهلاً للتعقيب الكبير إذا نقلناها إلى ذلك المدار الواسع الذي يرتبط بتاريخ الإنسانية ومصير العقائد الاجتماعية في هذا الحين وبعد حين .

إن أحداث روسيا الحمراء تهدم مذهب كارل ماركس من أساسه ولا تدع منه إلا انفاصاً تلحق بما تقدم من آثار الهدم والانتقاض في تاريخ العالم .

فقد كان قوام المذهب كله على فكرة واحدة وهي أن القضاء على رؤوس الأموال .  
يبطل الاستغلال ويفضي بالأمم إلى مجتمع لا طبقات فيه ولا داعية فيه ، من ثم ،  
للتصارع على السلطان .

كلا . ذلك دليل على الموت في سبيل الحرب وليس بدليل على الموت في سبيل السلام .

فلنعرف أنفسنا على حقائقها كما ينبغي أن نعرف جميع الحقائق .

وإتنا نعلم إذا عرفنا أنفسنا على حقائقها أتنا نحب المادة وأتنا أحبنها من قبل ، ولكننا نعلم كذلك أتنا نهتم بالروحانيات ولا نزال مهتمين بها ، وفي هذا الكفاية للخلاص إذا عقدنا الرجاء على الخلاص من رقة المادة بقياس من عالم الروح وعلى الله تحقيق الرجاء ...

ومفارخرهم أيضاً

ومفارخر الغربيين أيضاً في هذا الزمن عرضة للمناقشة وإعادة النظر إن لم تكن عرضة للتنييد والإتكار .

إنهم يزعمون أنهم أصحاب العقول التي احتكرت فضيلة «الاختراع» والابتکار .  
وينسون ألف السنين من أجل مائة سنة أو مائتين على الأكثر في تاريخ الاختراع الحديث .  
فواقع الذي لا نكران له أن المبتكرات الكبرى جمعياً من عمل الشرقيين ، وأنها هي اختراعات التي نقلت الإنسان في الخطوة الأولى وهي أصعب الخطوات ، ثم تلتها خطوات أخرى قد تقل عنها في صعوبتها ولكنها لا تقل عنها في آثارها الباقيات .

من الذي روض الحيوان والنبات ؟ من الذي صنع السفن ؟ من الذي أقام البناء ؟ من الذي نج الشياطين ؟ من الذي أبدع الآلات ؟

لقد قيل في تعريف الإنسان إنه الحيوان الذي يستخدم الآلة ، وهو التعريف الذي يضع الحد الفاصل حقاً بين أرقى أنواع الحيوان وأدنى أنواع الإنسان .

وقد كشفت الحلقة المفقودة ، أو ما سمي حيناً بالحلقة المفقودة في اصطلاح النشوئيين ، ووجدت في بقايا الحيوان المتوسط بين العجماء وبين المخلوق الناضق ، ووجدت أمثال هذه البقايا في وادي الرين بألمانيا وسميت ببقايا إنسان «البياندر» أو Meanderthal man .

هذه البقايا متقاربة في الأعمار يذهب بها بعضهم مئات الألوف من السنين  
ويقنع بعضهم بعشرات الألوف .

ثلاثة آلاف فرع في البلاد الروسية ، وكان قبل ذلك مدير مصلحة التعمير التي تهمت مهمتها على يديه في ثلاث سنوات بدلاً من السنوات الخمس المقررة في المشروع ، ولا شك أن القوم قد أصطنعوا الدهاء إذ نقلوا مالنکوف من السياسة إلى إدارة المصانع الكبيرة ، لأنهم بذلك قد وضعوه على اللوبي الذي يدور به حيث تدور الصناعات الثقيلة ، فيعمل لها في مستقبله أو يقضى على نفسه بيديه .  
ولماذا أعتقدوه؟

والسؤال الذي يسأل الناس في عجب : كيف نجا مالنکوف من الموت ؟ ولماذا سقط من أعلى مراكز النفوذ وهو يقيد الحياة خلاناً «للعرف المرعى» في روسيا الحمراء ؟

وجواب هذا السؤال يهدى المذهب الماركسي من جانب آخر وهو جانب العلل التي تدفع بطلاب الجاه والسلطان إلى التنافس عليهما والاستئثار بهما في كل مكان .

فيعند كارل ماركس أن بهذه العلل محصورة في استغلال «الفلوس» ... وعند الواقع في روسيا كما في غيرها أنها هي أهواء النفوس وأواصر القرابة وما إليها من وسائل الصدقة والوفاق .

فالرفيق خروشيف صهر مالنکوف ، والجنرال بولجاني زميله في مدرسة كاجانوفتش منذ اختيارة ستالين لتدريب الشبان المرجوبين لخدمة الدولة في المستقبل ، فكان مالنکوف وبولجاني في مقدمة النخبة اختارين ، وربما كانت المودة «الأوثق» من هذه المودة بينهما أنهما اشتراكاً في كراهة برياً والتآمر على إسقاطه وقتله وتفرق شمله .

والعجب أن مالنکوف وصهره معنا قد أضافا في الكلام على «المحسوبة» الشخصية في الخطاب الذي ألقاه كل منهما على مؤتمر الحزب التاسع عشر ، فدلا بالكلام وبالعمل على أن أهواء النفوس ، أهم من حساب الفلوس ، حتى في بلاد الروس !

وهذه فكرة سخيفة نقضها الباحثون الاقتصاديون من وجهتها العلمية الواقعية منذ عشر سنين ، وخصوصاً مباحثهم هذه في كتابنا عن فلاستة الحكم في القرن العشرين الذي صدر منذ أربع سنوات ، فقلنا في الصفحة الـ (١٠٦) من ذلك الكتاب إن حساب كارل ماركس اختلف في هذه المسألة وأنه «من هنا نشأت طبقة غير طبقة أصحاب الأموال وغير طبقة الصناع والعمال تشرف على أدوات الإنتاج ولا يتأنى الاستغناء عنها في المجتمع القائم على الصناعات الكبرى» ، وهذه هي طبقة المديرين الفنيين الذين حنقوا أسرار الصناعة أو حلقوها أساليب تنظيمها وتصريفها وترويج منتجاتها ، وهم بين مهندس وعالم طبيعي وخبير بتسهيل العمل في المكتب أو نشر الدعوة» .

ثم مضينا في التلخيص فقلنا إنه «معنى تداعى رأس المال فذلك علامة من التطور الطبيعي الذي لا يرجع إلى الوراء ، وسينقضى عهد الشيوعية في روسيا وفي غيرها فلا يلزم من زواله أن تعود الأم إلى نظام رأس المال كما كانت قبل التجربة الشيوعية ، وإنما تبطل التجربة الشيوعية لتعقبها ولاية المديرين الفنيين حيشما وجدت الصناعة الكبرى ، فإن لم توجد فالبلاد التي تخلو منها تظل معلقة بدولاب من دواليب الأم الصناعية الكبرى إلى أن تتمالك قواها وتتمكن من الوقوف على قدميها .

فالذى يحصل فى روسيا اليوم نتيجة معروفة للذين ينظرون إلى هذه المسائل العالمية فى مدارها الكبير الذى لا ينفصل من تاريخ الإنسانية فى جملتها ، وإنما هو صراع بين نفوذ الصناعة الكبرى ونفوذ الساسة والمستوزرين ، وما كان مالنکوف فى الواقع غيراً على معيشة العامة والقراء حين أراد تحويل الصناعة الكبرى إلى إنتاج اللوازم المعيشية وتيسير الفسروريات للمحتاجين والمعوزين ، ولكنه أراد أن يهدم منافسيه بهدم الأساس الذى يقومون عليه وهو أساس الصناعات الثقيلة والمصنوعات التى تخرجها وفي مقدمتها الأسلحة الضخام والطيارات والدبابات والمصفحات وسائر هذه المصنوعات التى يهتم بها القادة العسكريون كما يهتم بها المهنديون والمديرون الفنيون .

فلا جرم إذن يتفق بولجاني وخروشيف سكرتير الحزب الأول والرجل الذى يدل اسمه أو لقبه الشائع بين الروس على أنه يترقى على عجل ويترقى بسرعة كأنها سرعة الدواليب !

ومن الواجب أن يحسب بولجاني من المديرين والخبراء الفنيين قبل أن يحسب من القادة العسكريين ، لأنه كان مدير مصرف الدولة أو «الجوسبانك» الذى يتبعه

و كذلك الفوضوية في تشعبها وكثرة مدارسها وأقاويلها ، فإن برودون وباكوين وكروبكين وأتباعهم في روسيا وإسبانيا يختلفون بالرأي كما يختلفون بالعمل ، ولا بد من هذا الاختلاف بين القائمين بالحركة التي تهدى كثيراً ولا تتفق على خطط البناء .

و أحسن الطالب أيضاً في التفرقة بين الحركتين ، لأن إحداهما سياسية وهي الفوضوية ، والأخرى أخلاقية أدبية وهي الوجودية ، وما بينهما من التوافق العرضي فإما هو من طريق المصادفة السلبية ، حيث يتافق المذكورون للأسس القائمة في بعض الأمور وإن تفرقوا في الأسباب والأغراض .

بل تكاد الحركتان تتناقضان في مبدأ أصيل يميز كلاً منها ويرجع إليه الفارق الأكبر بينهما .

فالوجودية تعول على استقلال الفرد كل التعويم ، ولا وجودية في رأي من الآراء بغير هذا الاستقلال .

والحركة الكبرى من حركات الفوضوية - وهي معروفة بالفوضوية الشيوعية - تخرج الفرد من حسابها وتکاد تهجو في سبيل الجماعة . ولم تنشأ الوجودية إلا بمثابة احتجاج الفرد على طغيان الجماعة وتهوينها من شأن الاستقلال الفردي في الحركات الاجتماعية ، ولا استثناء في ذلك للديمقراطية ولا للاشتراكية المعتدلة ولا للدعوات التأمين والخطط المرسومة لتنظيم العمل والثروة .

فالوجودية في ناحية من نواحيها الهمة احتجاج على الفوضوية كلها واحتجاج على الفوضوية الشيوعية قبل غيرها ، وما يتلاقيان فيه من إنكار التسلط فإما هو مصادفة عرضية لا تثبت أن تبديع على اتفاق حتى تتشعب على شقاق ونضال . لأن إنكار التسلط في الحركة الفوضوية يحمل بين طياته إنكار المزايا الفردية ورد الأمر كل إلى الجمهورية الغالية بالعدد والكثرة دون القيمة والكافية .

إلا أن الحركتين تتشابهان في خصلة واحدة وهي أنها معاً غير مفهومتين على اتضاح وجلاء . لكثرة الشعب التي تتفرع عليها وكثرة الأدعياء الذين يلصقون بها وكثرة الأخذين منها بالتشور دون الباب .

#### الفوضوية لا تنسك النظام

فالذى يسبق إلى الذهن من اسم الفوضوية - ولا سيما اسمها باللغة العربية - أنها تبطل النظام وتلغيه وتدعى إلى مجتمع مطلق من الأداب لا نظام فيه .

## ماذا تعرف عن الوجودية والفوضوية؟

... قامت في فرنسا في القرن الماضي حركة سياسية سميت في تاريخ الفلسفة باسم Panarchism بزعامة Piere Proudhon وتلخص سباسته هذه بالحرية المطلقة فلا جبر ولا إزام على الأشخاص ولا دين ولا دولة ، بل تهدف الفوضوية إلى القضاء على الخضوع للسلطة سوى سلطان العلم والعقل . ولكن لم يقدر لهذا المذهب السياسي أي نجاح فضلاً عن إهمال علماء السياسة لدراسته .

وفي فرنسا الآن حركة أدبية وأخلاقية واسعة هي المذهب الوجودي . ومن المعروف عن هذا المذهب أن كل إنسان يعمل ما يريد وفي عمله يجب أن يكون بعيداً عن الخيال ، وقد قال سارتر : «إننا نعيش في المادة فيجب أن تخضع للطبيعة ونتركها تعمل ما تريد» .

ولشدة الشبه بين المذهب السياسي السابق والمذهب الأدبي الموجود الآن نسأل : هل هناك علاقة بين المذهبين ! وهل يمكن اعتبار الوجودية امتداداً للفوضوية ولكن في ثياب الأدب ...

إدوارد فؤاد

طالب بأداب القاهرة

قسم التاريخ

\* \* \*

أحسن الطالب الأديب أولاً في تسمية الفوضوية والوجودية بالحركة . لأن الحركة أُتت بهما من اسم المذهب الذي ذكره بعد ذلك ، وقد تكون الوجودية مناقضة للمنصب بحكم قواعدها الأولى ، وهي تجتمع كلها في التعويم على استقلال الفرد بأرائه وميوله ، ويتنسق إليها - أى إلى الوجودية - أكثر من عشرين مفكراً لا يلتقي واحد منهم بالأخر إلا في عرض الطريق .

\* أخبار اليوم : ٢ / ١٧ / ١٩٥٦

وقد أنكر كروزتيه :  
العارف البريطاني بطبعتها الحادحة مدحه ،  
القصاص ورد الفعل للتنكيل بأصحاب هذه الحركة لا يهمه .  
الناس جزاها بغير تفرق بينهم مجرد التنبيه ولفت الأنظار . ولكنهم ي  
المعتدين ويجزونهم بما فعلوه في حماية السلطة والقانون .

ثم نشأت في روسيا طائفة فوضوية اشتراكية تناهى بعثت الاغتيال وترى أنه من  
معوقات الدعوة والمنفرات منها ، ولكنها لم تكن تشتد في إدانة المغتالين ولم يكن  
بينها وبين الشيوعيين فارق كبير في الوجهة الأخيرة . فإنما كان الفارق الجوهرى بين  
الفوضوية والشيوعية أن الشيوعية ترضى عن قيام السلطة أثناء فترة الانتقال لقمع  
العناصر الرجعية ، وتمهل هذه السلطة الموقوتة إلى أن تذبل على شجرتها فتسقط  
بغير جهد من المجتمع لاتهام الحاجة إليها .

#### ولاتذكر الاعتقاد

وليس من الصحيح أن الفوضويين جميعاً ينكرون الاعتقاد أو ينكرون الديانة في  
صورة من صورها التقليدية أو المبتدةعة .

فإن الشعبة التي يقودها سوريل ويقترح فيها إقامة النقابات مقام الحكومات تبني  
دعوتها كلها على العقيدة التي تسمى *Mith* وتومن بضرورتها لكل حركة  
إنسانية .

ولما ينكر الفوضويون الديانات التي يتخذها المسلطون فريعة للسيطرة على  
الضعفاء . وهي من قبيل المذاهب التي قال عنها أبو العلاء :

إما هذه المذاهب أسباباً  
بـ جلب الدنيا إلى الرؤساء  
وليس برودون مؤسسها

كذلك يقال دائمًا إن برودون هو أبو الفوضوية وصاحب الدعوة الأولى إليها وهو  
قول صحيح إذا أريد به تنسيق الفلسفة وتطبيقها على النظم العصرية ، ولكنه مع  
ذلك غير صحيح على إطلاقه في الزمن القديم أو في الزمان الحديث .

وهذا غير صحيح .

لأن الفوضوية إنما تنكر «السلطط» كما قال الطالب النجيب في خطابه ، ولكنها  
لا تنكر الهيئات التي تتولى الأعمال العامة بالمشاركة والمساعدة ، ولا تلغى هيئة  
واحدة لازمة للتعليم أو لصيانة الصحة أو لإدارة المصانع أو لتوزيع المطالب  
والاحتاجات .

ودعوة برودون على الخصوص قائمة على لزوم هذه المصالح العامة واستغنانها  
عن «المسلطين» الذين يعتمدون على القوة دون غيرها في تغليب مصلحتهم على  
سائر المصالح الاجتماعية .

وقد ألف كتاب «ما هي الملكية؟» ليقول إنها هي السرقة ، ويقول من ثم أن  
اغتصاب السارقين للثروة المشتركة يضطرهم إلى اغتصاب آخر لحفظ ما سرقوه في  
أيديهم وهو اغتصاب «السلطة» واحتقار الشريعة والقانون .

و عند برودون أن اغتصاب الملكية واغتصاب السلطة هما الباعث الأكبر على  
الجريمة والفساد ، فحيث لا اغتصاب ولا إجرام ولا فساد لا حاجة إلى التسلط  
والمسلطين .

وهذا الرأى قد بطل عند علماء السياسة وعلماء الاجتماع كما قال الطالب النجيب ،  
لأن الدراسات النفسية والمقارنات الاجتماعية بين المجتمعات الأولى والمجتمعات  
الحديثة قد عرفت الناس ببراعة الجريمة ولم تحصرها في البواعث الاقتصادية .

#### ولاتدعوا إلى القتل

ومن الشائع عن الفوضوية أنها تدعو إلى القتل أو إلى الاغتيال السياسي  
لتحقيق برنامجهما .

وهذا أيضًا من الإشاعات التي تصدق على نفر قليل من الفوضويين ولا تصدق  
على الحركة كلها ، وقد بدأ الاغتيال السياسي قبل عصر برودون وعاش بعده ولم  
يكن موقف الدعاة ثكبار منه موقف التأييد والتقرير إلا على سبيل الإغضاء  
والاضطرار .

والنفر القليل الذي يدين بالاغتيال السياسي بين الفوضويين يطلق على  
الاغتيال اسم «الدعاية بالفعل» أو الدعاية المشيرة ويعتقد أن حوادث الاغتيال تنبه

أما المسوغ الفلسفى الذى يستند إليه الوجوديون الإباحيون فهو أضعف الأسناد الفلسفية التى ظهرت فى عالم الفكر والعقيدة .

إنهم يقولون إن الوجود资料ي هو وجود الفرد المعروف بشخصه وكيانه ، وإنما النوع كلمة أو لفظة أو خيال لا وجود له في غير التصور ، وليس «الإنسانية» إلا كلمة خاوية لا توجد بمعزل عن هذا الفرد وذلك الفرد أو هذا الإنسان وذلك الإنسان .

ومن هنا اسم الوجودية الذى ينتسبون إليه ويحسبونه تصويراً الواقع لا مرأء فيه . إلا أن الواقع الذى لا مرأء فيه أن النوع موجود في تركيب كل إنسان وإنسانة ، وأنه ما من خلية في بنية الفرد لم يتمثل فيها النوع تثليلاً أو في وأعمق من تمثيل الفرد ذاته خصائصه ومقوماته .

ولقد ثبت ثبوت اليقين أن قوام البنية مرتب بالغدد الصماء وغير الصماء ، وأن علاقة هذه الغدد بالخصائص النوعية وثيقة جداً في عملها المنفصل وأعمالها التي تتعاون عليها .

وإذا كان تثيل النوع حبيباً أو «بيولوجياً» حقيقة لا ريب فيها فالتمثيل النساني أو السيكولوجى حقيقة تصارعها ثبوتاً ويقيناً إن لم تكن أبرز منها للوعي والشعور .

وعلى هذا لا يمكن أن يقال إن الفرد موجود حقيقى وأن النوع وهم ليس له وجود ، لأننا لا نستطيع أن نتخيل فرداً مجرداً من الخصائص النوعية في كل خصلة من خصاله وكل خلعة من خلجلات وعيه وشعره ، ومن قال إنه ينطلق على هواه وبغضى على رأسه غير مبال بمصير النوع إلى الفتاء فعلية قبل كل شيء أن يخرج من دعوى «الوجودية» إلى دعوى «العدمية» .. لأن فلسفته تقوده إلى فتاء الفرد وفتاء الإنسانية ، حين يزعم أنه يبالى بحاضره ولا يبالى بمصيره ولا بمصير الإنسانية جماعة .

وبعد فهذه الوجوديات كلها شيء والمدارس الفوضوية كلها شيء آخر إن الوجودية لا تسرى على الجماعة ولا تتجه إليها إلا من طريق الاعباء إلى استقلال الفرد على حدة .

أما الفوضوية فهي جماعية قبل كل شيء ، وهي حركة سياسية لا تنظر إلى الأفراد متفرقين ولا تبالى بهم مستقلين ، وكلهم سواء عندها في ظل النظام الذى

فالfilosof الرواقى زينون الذى نشأ في القرن الرابع قبل الميلاد كان يؤمن بالمجتمع المتحمر من السلطة ويفخر بأن تلاميذه يتعلمون منه أن يصنعوا طوعاً ما يصنعه سائر الرعايا مكرهين أو مهددين .

والفكر الإنجليزى ولIAM جدوين Godwin الذى ظهر في القرن الثامن عشر شرح فى كتابه عن العدل الاجتماعى وسائل الحكم الذى يتوزع بين الهيئات ولا ينحصر فى سلطة مركزية تملك وسائل الإرهاب والإكراه .

ويمكن أن يقال إن فلسفة الحكم منذ وجدت كانت تشتمل في كل عصر على مدرستين متقابلتين : مدرسة التوسيع في سلطان الحكومة لتنظيم المجتمع ، ومدرسة التضييق في هذا السلطان والاكتفاء منه بأقل ما يستطيع حماية الأبراء ، وليست الفوضوية إلا تطرفاً في هذه المدرسة إلى أقصى اليسار ، يدعو إليه تطرف الاستبداد على النحو الذى كان عليه قبل الثورة الفرنسية .

## الوجوديات

أما الوجودية فالاضطراب في قواعدها أشد من الاضطراب في قواعد الفوضوية ، لأن وجوديات كثيرة لا وجودية واحدة ، وربما تناقض الفيسبوفان الوجوديان في العصر الواحد والبلد الواحد كما يتناقض الإيمان العميق والإلحاد السافر أو كما يتنفس الزهد والإباحية ، ولعل الكثرين لا يفهمون منها إلا المفهوم الشائع عن الإباحية الأخلاقية المنطلقة من جميع القيود ، فيقبلون عليها لأنها سند فلسفى يسوغون به ضعفهم وانحلالهم ، وهم يخجلون - أو يبغى أن يخجلوا - من الضفف والانحلال بغير سند منسوب إلى الفكر والفلسفة .

والأساس الصحيح الذي تقوم عليه الوجوديات السليمة هو إنصاف ضمير الفرد من خيانة الجماعة على استقلاله ، ولكن الاستقلال كالمال يلزم الإنسان لأغراض كثيرة ، فمنه ما يلزم للعصمة من التلل ومنه ما يلزم للتزورط في التلل وتيسير النزوح إليه .

وثسوأ الوجوديات الإباحية لا يسوغ الانطلاق من قيود لأداب بغير نظر إلى العوقب والضحايا ، فإذا اختار الوجودي أن يستوفى كيانه الفردى بإشباع شهواته فهو حر في اختياره واستعمال جرائر هواه ، وهو حقيبة أن يوازن بين الحظر والإحجام على عن ما يصيبه من المتعة وما يصاب به من الأذى ، وتلك هي قيمة «الاختيار» الملاحة في عرف هؤلاء الوجوديين .

لا سلطة للطغاة عليه ، وإذا اتفق الوجوديون والفوضويون في كراهة التسلط فقد يضارب الفريقيان إذا كانت المسألة مسألة طفيان الجماعة لا مسألة الطفيان من أصحاب السلطان .

أنا وجودي ...

وكاتب هذه السطور «وجودي» إذا كان معنى الوجودية إنصاف الضمير الفردي وتقدير الإنسان المستقل بتفكيره وخلقه ، وعندنا أن الجماعة المثلث هي الجماعة التي تهين للفرد غاية ما يستطيع من الكرامة والاستقلال ، وأنها إذا توقف وجودها على فناء الفرد وهو استقلاله جماعة جديرة بالفناء .

إلا أن الوجودية التي تؤمن بوجود الفرد ليسى واجبه ولا يذكر غير هواه ليست في الحق إلا عدمية باسمها وفعلها ، وهي من المفارقات والأغالط بالنسبة إلى الأحاد و بالنسبة إلى الأنواع والجماعات .

## فلسفة الحكيم \*

والحكيم هنا اسم وصفة .

إنه اسم الزميل الكاتب الفصحي الموهوب الأستاذ توفيق الحكيم .

وأما الصفة فهي صفة الفيلسوف التي ترافق صفة الحكيم ، وهي الصفة التي اتسم بها الزميل في كتابه الجديد عن «التعادلية» ليشرح فلسفته الجامحة في مسائل الكون والحياة .

وخلاصة هذه الفلسفة كما يدل عليها اسم الكتاب أن «التعادل» هو الحقيقة الأولى في كيان الأرض وكيان الإنسان .

قال في الصفحة السابعة عشرة إن الأرض «كرة تعيش بالتوازن أو التعادل بينها وبين كرة أضخم هي الشمس ... فإذا اختل هذا التعادل ابتلعتها الشمس أو ضاعت في الفضاء ... التعادل إذن هو الحقيقة الأولى لحياة الأرض . فهل صفة التعادل هي أيضاً الحقيقة الأولى في كيان الإنسان؟ فلننظر أولاً كيف يعيش الإنسان من حيث هو كائن مادي . إنه يعيش طبعاً بالتنفس ، ما هو التنفس؟ هو حركة تعادل بين الشهيق والزفير . فإذا اختل هذا التعادل بأن طال الشهيق أكثر مما ينبغي طاغياً على الزفير أو امتد الزفير أكثر مما ينبغي جائراً على الشهيق وفت حياة الإنسان . فإذا تركنا التركيب المادي إلى التركيب الروحي وجدنا عين القانون فالتركيب الروحي للإنسان له هو أيضاً شهيقه وزفيره فيما يمكن أن نسميه الفكر والشعور ، أو بعبارة أخرى العقل والقلب ، والحياة الروحية السليمة هي أيضاً تعادل بين الفكر والشعور» .

### بين الرصيفين

تلك هي خلاصة «الفلسفة التعادلية» التي يدين بها الحكيم الكاتب ، والحكيم .

١٩٥٥/٦/١٨ \*

ويرى الأستاذ توفيق أن الإيمان من عمل القلب والشعور، وأن التفكير المجرد من العاطفة يؤدي إلى الكفر والتعطيل .

والذى نراه نحن أنه لا تقابل بين الفكر والشعور حتى في هذه المسألة التي يخطر على البال أنها مسألة فكر وشعور قبل كل شيء .

إن في العالم اليوم ملايين من الخلق لا باعث لهم على الكفر والإلحاد غير باعث الشعور بغير تفكير .

إنهم يشعرون بالكرامة والسطخ ويصبون غضبهم على الكون كله لينكروا فيه كل معنى ويجحدوا فيه كل جمال .

إنهم يشعرون بغواية الشهوات والموبقات ويشعرون بالعواقب التي تصدمهم عنها من جانب الدين فيمرقون عن الدين ذهاباً مع الشعور بالملعنة ، والشعور بالانطلاق ، أو الشعور بالغرض والتمرد على الأوامر والتواهي والخرارات والخلوات .

ومن الناس من يكفر بالله على سبيل التحدي والمناجزة ، لأنه يحسب أن الله يحابي ذوى النعمه والجاه كي يريد أن يشور على هذه المعاشرة فيجعلها ثورة في صورة الإنكار والإلحاد .

ومن الناس من يهدى الفكر وحده إلى الإيمان ، لأن الفكر لا ينافق الإيمان بطبيعته بل يشى معه في طريقه ولكنه لا يستطيع أن يصلح الغاية من هذا الطريق ، إذ كان الفكر محدوداً ولغاية من هذا الطريق بغير جدود .

\* \* \*

**والحياة ليست على الحباد**

والحياة ، بعد ، ليست على الحبادين هنئي للوجودات ، كانتا ما كان وضعاها من التقابل أو التعادل .

الحياة على الدوام خروج على الحباد إلى جانب من الجوانب ، وقدرة مقاوم دواعي التعادل إذا اقتضى الحال ، وكثيراً ما يقتضيه .

مثال ذلك حرارة الجسم وحرارة الهواء .

إذا استوارت حرارة الجسم وحرارة الجو فلا حاجة إلى وقاية من تلكين فهو المسكن .

ويبدو لنا أن الأستاذ دخل في البحث بهذه الفكرة ، ولم يخرج بها بعد البحث في هذا الكتاب على الأقل : كتاب التعاطية .

ومن الجائز أن الأستاذ - في حياته الفكرية - بحث ثم انتهى إلى هذه الفكرة وأخذ بالقدرات زماناً طويلاً ثم استطرد منها إلى التنازع في حادة المطاف .

ولكنه في الكتاب قد طرق الباب وفكرة «التعادل» معه على الباب .

ونحن نؤمن برسالة الفن في توضيح الأفكار ، ونؤمن بأن - التصوير الفكاهى - أو الكاريكاتور - هو خير وسيلة لإبراز فكرة تحتاج إلى الإبراز .

ولهذا نعمد إلى هذا التصوير «الكاريكاتوري» ، لنقول إن السلامة في أي صديقنا الفيلسوف هي السير في وسط الطريق بين الرصيفين .

لا على الرصيف الأيمن ولا على الرصيف الأيسر ، بل في مكان متوازن بين الرصيفين .

ولا بد من الاستعداد قبل ذلك بنمرة الإسعاف . . .

**مقابلة وضعية**

إن حرص الأستاذ الحكيم على الأمثلة التعاطية قد أنساه أن التقابل بين الأشياء ضرورة وضعية آلية ، أو أنها على أحسن تعبير ضرورة لغوية اصطلاحية !

فماذا تكون الموضع إن لم يكن فيها يمين ويسار ، وأسفل وأعلى ، وأمام وخلف وأبيض وأسود ، وحر وبرد ، وحركة وسكن ، وجمال وقبح ، وصحة ومرض ، وشىء يقابل شىء في كل وضع وفي كل تعبير .

فال مقابل بين الأشياء ضرورة وضعية لا محل فيها - أكثر الأحيان - للقيم الأخلاقية والمعانى الفكرية ، وإنما هي ضرورة الوجود المحدود بالنسبة إلى غيره من الوجودات ، وما يكون فوق هذا يكون تحت ذاك ، وما يكون على يمين سائر يكون على يسار غيره ، وما يكون حسناً في وضع من الأوضاع يكون سيئاً في وضع سواه .

**حتى التقابل بين الفكر والشعور**

ونستطرد من المقابلات الوضعية إلى المقابلات التي تترجع بالمعنى والأراء .

وقد ذكر منها الأستاذ توفيق متقابلين اثنين مهمين في مذهب الفلسفي ، وهما العقل والقلب أو الفكر والشعور .

وحصار المكّيم

وننتقل من الحكم إلى حماره القديم .  
لكنه هنا حمار له زميل أولى بالتقديم ، وهو حمار «بريدان» المشهور في التعادل  
من حزمته، الترسبيم :

ضرروا المثل بحمار «بريدان» فقلوا إنه يهلك جوعاً بين حزمتي البرسيم عن يمينه وعن يساره، إذا تساوت الحزمتان في اللون والمقدار والرائحة وسائر المشهيات والرغبات.

وكان من المضحك أن يصور الفلاسفة حمارهم على هواهم ، وأن يتخلصوا واقتادوا على الحيوان بين الحزمتين ، فلا يمكّن إلى هذه أو إلى تلك إلا برجوع إلى إحدى الحزمتين .

وهذه فلسفة لن يعترف بها الحمار ولن يعمل بها في ذلك الموقف ولا في موقف غيره ، لأنه لا يقف فيه على الحياد ولا يلبت أن يطالب نفسه بالاختيار بين شيئين لا بين حزمتين من البرسيم .

لا يلبت أن يطلب تقسيم الاختيار بين الأكل أو الموت جوعاً، ومتنى اختار الأكل فإنه ليأكل ميناً أو شعماً ولا ييللي ذلك التعادل المزعوم بين برسيم اليمين وببرسم الشهاد، فإنه هو لا يقف على الحياد بين الموت جوعاً وأكل البرسم حيث كان.

\*\*\*  
كتاب المسئلية حيدر مفتاح ناهد ريندا عريفها به يجده ليهجه في سيرته فتحى  
ومن المصادفات أن كتاب «التعادلية» كان أول كتاب قرأه بعد الفراغ من كتابين  
ووصل إلى مصر في الشهر الماضي وكانتما يتكلمان عن الترجمتين المفكرة أو المتصادمة  
المفكرة، أو عن الفكرة التي يحمل لها كتاب المسئلية حيدر ريات، وأحد كتابات كتاب  
مؤلف المسئلية حيدر مفتاح، لافتاجلبه داركت بتلقي أشياز الأدب الترجمي بجامعة  
 Sokrobia الأمريكية ولحصة كتاب لفتحى أنا سمع كل ما هنا كافية حتى ميله في  
والآخر كتاب «مقالات أدبية وفلسفية بقلم سازن» مترجمة بعلم آيت مكالسوون  
من الترجمة إلى الإنجليزية، لبيه هـ سعى إلى إثبات ذلك في كتابه بخطه

ولكن الحياة تخرج دائمًا على الحيداد لتزيد هنا أو تنقص هناك ، ولو لا هذا الخروج على الحيداد لما كانت الملابس ولا المساكن ولا الناجم ولا العلوم التي تعنى بخصائص المواد والتوفيق بين درجات الحرارة ومتطلبات الحياة .

والثل الذي ضربه الأستاذ توفيق للتعادل من دوران الأرض حول الشمس أو ضياعها في أحوز الفضاء .

إنه لو كان مثلاً للحياد بين قوتين لا صيبيت الأرض والشمس بالشلل ولم تتحرك هذه ولا تلك بانتظام ولا بغير انتظام.

ولكن الأرض تحركت لأن هناك شيئاً خارجاً على الحياد بين الجاذبية والاندفاع ، ولو لا أن الأرض تلك الشيء الذي يقاوم جذب الشمس ودفعها على السواء لسقطت بغير حراك .

ربيع و خسارة

ويند فإن الحياة «العبة» لم تخلق ليخرج منها اللاعبون متعادلين «كيت» على سواء .  
وإنما خلقت الحياة لتقاوم ما حولها وتغلب على كل مقاومة ، وإنها لحية قادرة ما  
دامت «تقاوم» وتغلب ، فإذا تعادلت قوى العمل والسكنون ، أو قوى البناء والهدم ،  
وقفت وأذنت بالانحلال ثم الزوال .

الحياة قوة تعلم وتقاوم الحوائل دون عملها ، وظاهرها بين عناصر المادة نفسه إنما هو ظهور شيء يتجه مع الواقع والمواضيع ولا يقف متوسطاً بين جميع الاتجاهات وكلما ارتفعت الحياة تبين ارتفاعها في وسائل الاتجاه لا في وسائل الوقوف والسكن بين الأطراف ، فهي إذا أرادت عملت ، وإذا عملت قدرت على المضي إلى وجهتها وتوصلت لها بوسائلها ، ومقياس الارتفاع بين حياتين أن الحياة الأرضية مرتبة قائلة لأن كل حياة في درجة تحضير لا يتحقق طلباتها ولا تؤثر فيها .

ولنقترب مثلاً بالأستاذ توفيق نفسه ، وهو يهم بتأليف الكتاب عن التعادلية .  
فهذا كلذ يحصل لو تعاقدت أسلوب الكتابة وأساليب السكوت .

لا توجد فلسفة للتعادلية .. هي ببساطة لغة اجتماعية . إنما يوجهنا هذا الحديث إلى فلسفة التعادلية على كل حال شيء خارج على الحياة وينبع أن يكون خارجاً على الحياة في المعاشرة التي يحاور فيها الأفراد بالتعادلية . ويحولون فيها أن يصل إلى بيدي ثم إلى إرادتي ثم إلى عقلي ثم إلى عملي بعد الفراغ من الاقناع .

ونعود إلى سارتر فنسمع منه العجب في نقد الفكرة الروائية . لأنه - وهو الفيلسوف الوجودي الملحد - يكتب عن الكاتب الكاثوليكي مورياك فيقول إن الكتاب المدينين أصحاب «عقلية» صالحة لكتابه الرواية . لأن المدين حر .. ولعله يغفظنا بيقينه لأنه شء مكتسب . ولكنه إذا كان كاتباً روائياً فهو الصفة فيه مزية .

ثم يقول : «أنه حتى فكرة الخطبىة توافق أصلًا من الأصول الازمة لكتابه الرواية » .

ثم يفاجئ الكثيرين من الوجوديين المتشبهين به في مصر والبلاد الشرقية حين يقول إن الفكرة المادية تناقض الحرية بل تناقض طبيعة الفكرة . لأنه كما جاء في مقاله عن المادية والشورة : «إذا كان الواقع النفسي تحت سيطرة الواقع البيولوجي وكان هذا الواقع البيولوجي تحت سيطرة الأحوال الطبيعية في العالم فمن الجائز أن يكون الفكر دالاً على سببه ولكنه لا يجوز أن يكون دالاً على قصده وموضوعه » .

#### برج بابل

وكن على يقين أنك تسمع الرأى ونقيفه من كل ناقد قبل أن تنتقل من البحث إلى غيره . أو من الفصل إلى ما بعده . لأن المصيبة العظمى في هؤلاء النقاد أنهم مولعون بإعطاء الأسماء واقامة الحواجز وتقيد الأراء في سياق البحث عن حرية التفكير وكلهم تعنيه فكرة واحدة مسلطة على رأسه وهو يكتب أو يتعرض بالنقد لمن يكتبون . وتلك الفكرة الواحدة هي تبرئة الفن من تهمة «الفقر العقلي» أو التجدد من القدرة على التفكير .. وعلى هذا يحشرون الأسماء المصطنعة حشرًا يطقوها على أفكار فجة كففaceous الصابون لا تقوى على نسمة هواء ، وأظن أن هذه الحركة لا تزال على مشابه وبثيقة من الحركة النسوية في عالم السياسة ، فإن المرأة التي تملئ بفضائل جنسها لا تعنيها مساواة الرجل في حقوقه ولا في واجباته ، وإنما تطمح إلى مساواة حين تشعر بالفقر النفسي أو العقلى بالنسبة إليه ، فلا يرضيها إذن إلا أن تكون كالرجل في جميع الصفات ، ولو كانت هذه الصفات من العيوب .

#### را الخلاصة

والخلاصة أن الفن لا يخلو من الفكر ولا يمكن أن يخلو منه لأنه «فن إنساني» يعبر عن «الشخصية الإنسانية» .

فكان الإغراء بالتطبيق قويًا بعد قراءة الآراء والقواعد واللاحظات ، ثم قراءة الفلسفة التي يكتبها بقلمه كاتب عربي في طبعة المؤلفين التمثيليين ، وإن لم تكن رواياته المفرغة في القلب المسرحي تما يمثل على المسارح في جميع الأحيان .

\*\*\*

#### من العودة إلى التسلية

وفي وسع القارئ أن يتصور «برج بابل» على الطراز الحديث إذا استمع إلى الآراء المضطربة المتاقضة ، التي جمعت في هذين الكتابين .

فمن هذه الآراء أن الدراما كما قال لويس قبل ثمانين سنة تحول من المراسم الدينية إلى العبارة الفنية إلى التسلية وتزجية الفراغ ، وأنها لا تنفذ نفسها من هذه الحطة التي تتحدر إليها إلا إذا تخصصت لفكرة تدعو إليها أو حالة اجتماعية تعرضها معرض النقد والتصوير .

ومن هذه الآراء أن الصور المتحركة قد أبطلت الدراما الواقعة كما بطل تصوير الملامح والأشياء بعد ظهور الصور الشمسية . فلا حاجة اليوم إلى «المذهب الواقعى» أو المذهب الطبيعي على المسرح ، لأنها مذهبان متوازان على اللوحة الفنية بغير مجهد .

ومن رأى «بنتلي» أن الدراما - العصرية معاشرة بالجفاف والبيوسة ، وأنها إذا فرقت بعد شكسبيير وشاعراء اليونان وكانت أشبه «بالستاريو» الذي ينتظر الملا والخشوع خلال التمثيل .

ولذا كانت الفكرة هي التي تنقذ الدراما من خطة اللعب الماجن والتسلية الرخيصة فكيف يعالجها المفكر على أسلوبه الفني دون أن يخرج على أصول الفن أو وظيفة الفنان؟

ويبدو متأسون من المؤلف أن يغتفي عن النظر وعن الفكر أثناء عرض الرواية . ويعين على سارتر أنه يفتاح شدائد الخطوط ويتدخل بين الشخصوص كما يفعل صاحبه تجويخت في التطاول على الواقع لتنفيذ مقاديره ولرسالي بروفة وروعده .

ويرد عليه بنتلي قائلاً إنه لم يلاحظ هذا التطاول والاحتدام على مسرحيات سارتر وأنه «ليس كذلك» - قرأها قبل أن يطلع على فلسفة سارتر فبدليله أن القارئ يستطيع أن يتلقى أنكارها بدأه وإن لم يسمع من قبل ياسين كيرجاردن وهيدجارد .

## شخصيات أمام محكمة التاريخ\*

كنت أعيش هذا الأسبوع في يوم واحد لم يحن بعد ، وهو اليوم الحادى عشر من شهر يوليو.

إنه يوم لا ينسى في تاريخ مصر الحديث لأنه يوم ضرب الأسكندرية وفاتحة أيام الاحتلال الذى دام بعد ذلك أكثر من سبعين سنة .

وأنه يوم لا ينسى في تاريخ النهضة الشرقية ، لأنه يوم الذكرى لأكبر المصلحين المصريين الإسلاميين منذ القرن الرابع للهجرة ، وهو الأستاذ الإمام محمد عبد رحيم الله .

وأنه يوم أذكره فيما ذكره من أعمال التأليف ، لأنه يرتبط بقصة كتاب الفتنه عن اليوم الحادى عشر من شهر يوليو هذا ، وكأنما كان متظراً إليه بلحظة الغيب على حد تعبير أبي العلاء ، لأنه صدر في اليوم الخامس من الشهر وصادر في اليوم السادس منه بأمر فاروق أو حاشية فاروق ، ثم جاء اليوم السادس والعشرون من الشهر وفاروق في ديار غير هذه الديار !

### محكمة تاريخية

كلما قلبت مراجع التاريخ في حادث من الحوادث المصرية الكبرى خطر لى أننا فى حاجة إلى محكمة عادلة تنظر في تاريخ ذلك الحادث نظر القضاة ، وتدين من تدين وتبرئ من تبرئ بوثيقة القاضى المنصف وبيته الشهود العدول .

محكمة تستدعي الموقى كما تستدعي الأحياء ، وتتيب عن الموقى من يحضر عنهم ، للدفاع أو للمناقشة ، كما تتيب المحاكم من يحضر عن الغائبين .

ما أكثر المجرمين الذين يخرجون يومئذ بهالة الشر .

وما أكثر الأبطال الذين يخرجون يومئذ بوصمة العار .

وما أكثر « الشخصيات » التي تخلق فى الأذهان حلقاً جديداً ينافض كل ما

وليس من المعقول أن يوجد فنان كبير بغير فكرة أو بغير فهم بديهى للتفكير ، ولكننا على هذا لا نزال نشعر بوظيفة الفنان ووظيفة أخرى للفيلسوف ، وقد نقترب بهذه الحقيقة من المشاهدات اليومية إذ قلنا إن الرجل العظيم لا يخلو من خلق عظيم . ولكننا نطالب بغير عمله حين نتظر منه بحثاً فى حقائق الفضائل ودخائل الحasan والعيوب التي يتتصف بها العظاماء وغير العظاماء .

\* \* \*

### مكان التعادلية

وبعد فأين مكان « التعادلية » من فلسفة الحياة ؟ وأين هي من الفكرة التي تشيع في روايات الحكيم ؟ الحق أن « الفكرة » في روايات الحكيم الفنان أقوى من الفكرة في كتاب الحكيم .

هناك لا تعبر فصلاً من رواية دون أن تلتفاك فكرة صائبة أو فكرة جميلة على لسان شخص من شخصيتها ، يقولها ولا يباليها .

وهنا في كتاب الحكيم الحكيم تفتتح الكتاب من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة على فلسفة وتفكير ، ولكنك لا تأمن إذا أسلمت زمامك للحكيم الحكيم أن بذلك على أسلم الطرق في الحياة : طريق التوسط بين الوضيقين .

\* أخبار اليوم : ١٩٥٥/٧/٩ .

لا تفهم من جملة الأخبار عنه إلا أنه داعية ثثارة أقرب إلى التهريج منه إلى الجد والرأي السديد.

ولا تكاد تعرف بهذه الصورة التي لا تتصفه حتى يستوقفك بخبر صغير هنا أو كلمة حارضة هناك ، فتباين الصورة الشائهة قائلاً : ففي أنظر إليك نظرة أخرى ، فما أنت على التحقيق بعد الله المظلوم .

ونظن أنه يبدو كذلك من شاهدوه وسمعوا ولا يبدو بها من يقرأون تاريخه ، وحسب ، بعد سنوات وسنوات .

رأء «بكتال» المستشرق الإنجليزي الذي يعرف الشرق معرفة أبنائه ويعرف اللغة العربية معرفة مكتنته من ترجمة القرآن الكريم ، ويعرف الإسلام معرفة حملته على الإيمان به والتعرض من جراء ذلك لكثير من المتابع والمنفعتين ، ويعرف الشورى العروبية تلك المعرفة التي نظر للقارئ من قصته عن أبناء النيل .

ووصف «بكتال» شخصية عبد الله النديم في قصته عن الثورة العربية ، فوصف لنا شخصيته تكمن فيها النبوة المتتهبة وراء صفحة من القداسة والخشوع ، ويؤكد يقول إنه كان يحرض على الفتنة كما يحرض على الثورة ، وأن القلم واللسان بعض أسلحته - لا كلها - في ذلك الصراع العنيف .

كان عبد الله النديم يحرض على الزحف بالجيش إلى ميدان عابدين ، ويكتب في صحيفته عن ذلك الموكب الرائع أنه «كان زفاف الحرية في مصر» . وكان يتكلم في الجمعيات فكانا يلقى النفط المتتهب على الخطيب ، ولكنه كان يحسن الإطفاء كما يحسن الإشعاع والإيقاد .

قالت صحيفة مهملة من صحف تلك الأيام بأسلوبها الذي تنقله ب يعرفه : «لما كان حضرة الأستاذ النديم حريراً على تنفيذ ما تعهد به عرابي من حفظ الأمانة مراعاة للمصلحة وتلاحظ له أن أفكار الأهالي متتهجة بسبب لائحة الدولتين وووحد أسطوليهما في مياه الإسكندرية وظهر له ذلك بما حدث من المظاهرين أثناء مرور دولتهم درويش باشا خشى منه أنه ربما وقع من بعض الرعاع ما لا ينطبق على تعهد عرابي ومصلحة الحزب الوطني فاغتنم فرصة تجمهر الناس وبث فيهم بعض إخوانه يوزعون إليهم بالخصوص إلى جهة الأنفوشي في مساء ذلك اليوم لسماع خطبة أدبية ، وما جاء وقت العشاء حتى توافد الناس زمراً إلى تلك الجهة .. وقام

عرف منها قبل الآن . حتى كأنها كانت مرسومة على بعد بوصي الخيال في قصة من القصص ، فولدت بعد ذلك في عالم الحقيقة بسيرة أخرى .

\*\*\*

### شخصيات

وقرأت عن اليوم الحادي عشر من شهر يوليو مشغولاً بهذا الخاطر ، معتمداً أن أشهد تلك المحكمة التاريخية كأنها قائمة بقضائها وشهادتها ترد الاعتبار وتدين الهاريين من وجه العدالة ، وتخلق «شخصوص» التاريخ على حقيقتها مبرأة من الزيف والمبالغة والتشويه .

ومرت بي «شخصيات» كثيرة لا تستغني واحدة منها عن شهود هذه المحكمة .

شخصيات تبرز في التاريخ بشارات الجد والعظماء ، وليس أيسر من إدانتها باخيانة العظمى ، لو وقفت بين يدي ذلك القضاء .

وشخصيات تتوارى في التاريخ عن الخزي الذي يلاحقها ظلماً وعدواناً ، وليس أيسر من إبرازها على قمة الجد أعلاها يقتدى بها العاملون .  
كم من هؤلاء وكم من هؤلاء !

أيها التاريخ ! ما أهون احتقارك على من يريد أن يهزأ بك ويشبع عنك ببصره . وأيها الضمير ! ما أحوج العاملين إليك كلما أشاحوا بأصارهم عن التاريخ ! ونظروا إلى المؤرخين بين جاهل ومعرض ومتاجر وسايغ في بحر من الظلمات ، لا يطلع عليه نهار .

\*\*\*

### عبد الله النديم

#### كثيرون وكثيرون

كثير من يدان بعد تشرف وكثير من يعظم بعد هوان ، وكثير من يخلق في الأذهان خلقاً جديداً بعد الإدانة والتعظيم .

ومن هؤلاء الذين يخلقون خلقاً جديداً في الأذهان رجل من أجدر الناس بالإنصاف بين أهل القلم ، وهو الأديب الخطيب الصحفي الرائد عبد الله النديم .

وقد شهد الندم بوادر هذا الاضطراب لأنه لم يكن ينزوى فى داره ليكتب صحيفته بين الجدران ، بل كان ملازماً لعربى فى خط النار . ليجبر بالخطابة والرأى العاجل ما تكسره نكبات الهزيمة والخيانة . وقد كان أكثر الهزيمة من خيانة الأعوان المتواطئين مع الأعداء ، وبلغ منها أن الجيش الإنجليزى ضم إليه «البروجية» الذين لازموا قصر الخديو .. فضربوا «نوبة» الارتداد التى لا يشك سامعها من المصريين أنها صادرة من معسكرقيادة ، ولم ينكشف السر إلا بعد وقوع الفشل والاختلال . والذى لا ينسى نسى !

أما اليوم الذى لا ينسى فى تاريخ النهضة الشرقية فقد نسى مع الأسف الشديد نسى حيث ينبغي أن يذكر . وحين ينبغي أن يذكر ، لأنه فى هذه السنة يوافق انقضاء خمسين سنة على وفاة الإمام الذى لم ينس إ衲اض الشرق الإسلامى قط . فنهض ليناء .

إن هذا الموعد يتحدد فى الشعوب الحية الذاكرة مناسبة لإحياء الذكريات والوفاء بالشكر لمن يستحقه من التوابع /والعظيم والمصلحين ، وإن رجالاً أصغر قدرأ وأعمون أثراً من محمد عبده تقام المحافل لذكرهم ويدعى إليها القريب والبعيد للمساهمة فى هذا الواجب الذى يشرف الأئم قبل أن يشرف عظيماءها فى القبور .

وإن هذه المحافل لتنفع الأحياء ولا تنفع منها للأموات لأنها تنبوه بالأم التي تخرج للعالم ذلك العظيم ، وتنبوه بالخلق ينبهها إلى الحقاوة بذكرةه .

وما من أمة فى الشرق الإسلامى إلا وهى على أهبة لتلبية الدعوة إلى ذكرى الرجل الذى يتعدد اسمه من أقصى المغرب إلى تخوم الصين .

ونحن نسمع اليوم بالحزب الإسلامى فى أندونيسية ونعلم أنه أقوى أحزابها بالعدد والصوت المسموع ، ولا يعلم الكثيرون منا أن قادته يعترفون بالتلمذة لحمد عبده ويطلبون إلى اليوم كتبه وأثاره من الديار المصرية .

ومنذ ستينين كنت فى إحدى المكتبات فأقبل ثلاثة من حجاج الصين يسألون عن تفسير «محمد عبده» ويقول لهم صاحب المكتبة إنكم تسألون عن تفسير النار . فيتشاورون بينهم هنيهة ولا يشترون التفسير حتى يعلموا أنه مقتبس من دروس الأستاذ وأن صاحب النار تلميذه من تلاميذه الكبار .

فيهم الأستاذ المؤمن إليه خطيباً فمحضهم على استعمال السكينة والهدوء وترك السياسة لأربابها من رجال الحال والعقد ولاهم على ما حدث منهم من التظاهر فى هذا اليوم وحرضهم على الالتفات إلى الأمور النافعة من الصناعة والتجارة إلى غير ذلك من النصائح المقيدة .

قال الكاتب فى صحيفة البريد «وعما ي Finch الكلى ما زعمه فهو الأغراض بعد دخول الإنجليز مصر أن هذه الخطابة كانت فى تغيير الظنين على الفتى بالأ جانب ما نشأ عنه حادثة 11 جونيو مع أنى كنت حاضرها وشاهدت ندىءاً بعيلى رأسى وسمعت جميع ماقاه به ما لا يخرج عن موضوع ما قاه به أنا». .

وإنك لتکاد أن تعرفه بهذه الصورة مسلماً له صناعة اللسان بشقيها من الإثارة والتتسكين ، إذ بخبر صغير فى زاوية من زوايا الصحف يرىك الرجل من ذوى الرأى والمشورة فى مأزق الحرج ، ويخيل إليك أنه لو أطعى لتغيرت الحال بخیر منها على الأقل فى بعض الأمور .

كانت القرية الكبرى التى زعزعت العربىين وأوقعت الفشل فى صفوفهم وجرت إلى الفتنة فى الجيش المقاتل «بياناتمة الخلافة» كما سمعت فى ذلك الحين وهى النشور الذى أعلن فيه السلطان العثمانى عصيان عربى وخروجه على ولى الأمر ومروره من حظيرة الشرع الشريف .

وكان رأى عربى إخفاء هذه «البياناتمة» والبالغة فى كتمانها .

أما «عبد الله ندىم» فقد أشار بغير ذلك واضح على عربى بوجوب نشر «البياناتمة» مشفوعة برسائل التشجيع التى كانت ترد إليه من حاشية السلطان . وأن يعقب على هذا وذاك بالحملة على الدولة البريطانية ومشيرى السوء من حول السلطان لأنهم أكرهوه على توقيع ما كتبوه وتطاولوا على ذلك المقام الأعلى - مقام الخلافة - بالتهديد والإرغام .

قال عبد الله ندىم : «إن البياناتمة لابد أن تصل بكل حيلة إلى داخلية قطر وبطمع الناس عليها فتنفر القلوب وتتفرق الكلمة بخلاف ما إذا عرضت عليهم مشفوعة بالرد عليها» .

وهكذا حصل .. فإن الجيش فوجع بالنشرات فأحدث فى ما أحدثه رفع المصاحف على الأسنة فى حرب على ومعاوية . وكان لذلك أثره فى اضطراب العزائم وتوهين الثقة بالطاعة الواجبة لقائد الميدان .

ولن يقول الناس إن ذكرى «محمد عبده» ذهبت منسية لأنه لا يستحق أن يذكر . وإنما يقولون إن الذين ينسونه هم المنسيون في حساب الحق والعرفان بالجميل .

\* \* \*

### وبين الحادى عشر والسادس والعشرين

ونختتم الذكريات من هذا اليوم الحادى عشر . بعيادة الكتاب الذى صودر لأنه أفسى قليلاً من الأسرار التاريخية التي لصقت بذلك اليوم العصيب .

علم الله أنتا لم نقل في ذلك الكتاب كل ما ينبغي أن يقال . وعذرنا في ذلك أنه - مع هذا - لم يسلم من المصادر السريعة . ولم تصبر عليه حاشية القصر بضع ساعات . ولا تقول بضعة أيام .

بل الشاهد بين يدي القضاء يقسم اليمين على أن يقول الحق وأن يقول كل الحق ولا يقول إلا الحق» .

وأردت أن أقسم هذا اليمين / بين يدي التاريخ فأشفقت أن أكون بهذا قائلًا مالا يقرأ ولا يسمع له خبر .

فاكتفيت بثلثي اليمين ، وأقسمت أن أقول الحق ولا أقول إلا الحق .. فكأنني لم أصنع شيئاً بهذا الاختصار .

حتى مضى أسبوعان اثنان ، وكأنهم لم يصنعوا شيئاً بمصادرة الكتاب ... لأن ما قيل بعد الأسبوعين في فاروق وأجداد فاروق طوفان من الأرض والسماء ، إلى جانب تلك الجدول الصغير عبرة لمن ينسون العبر ، وقدجاً قيل :

ومهما يكن عند امرئ من خلبة      وإن خالها تخفي على الناس تعلم  
وسيخالونها تخفي على الناس ألف مرة وألاف المرات ، لأن التكرار لا يعلم أبناء  
آدم وحواء .

ومن المغرب إلى نيجيريا إلى أفريقيا الجنوبية إلى أفريقيا الشرقية لا تذكر النهضة الإسلامية إلا ذكرها معها باسم «محمد عبده» في مقدمة الأسماء .

ورجل مثل هذا تقضى خمسون سنة على وفاته ولا يسمع هؤلاء الذاكرون لفضلة أن قضل الرجل مذكور في بلده وفي المعهد الذي نشأ فيه وتلقى الأذى كذلك في سبيل إصلاحه ومات والعداوة تلاحمه من جراء هذا الإصلاح .

ياله من وفاة !

لقد كان أيسر شيء يستطيعه الجامع الأزهر أن ينهض بهذه الأمانة وأن يتخذ منها مناسبتها الحاضرة ، وإننا لغى حاجة إلى خلق هذه المناسبات ، لو لم تكن حاضرة بغير تدبير .

وكان هذا الواجب أوجب ما يكون على الجامع الأزهر لأن ظفر بالجهاد الأكبر من جهود المصلح العظيم ، ولم ينفع فيه أحد في هذه السنين الخمسين لا يزوج تبوغه إلى غيره ذلك الرجل وجهاده الذي أعناء في إثبات القوة والمضاء .

ومنذ خمسين سنة فارق الرجل دنياه «مستحقاً» كل عداوة الأقوباء في سبيل رسالته التي شملت بلاد الشرق الإسلامي من أقصاها إلى أقصاها ، وثارت ثورة الأمير - وهو غائب عن مصر - لأن أنساً من حاشيته ساروا في الجنائزة ونسوا كما قال في خطابه إليهم «إنه عدو الله وعدو النبي وعدو الدين وعدو الأمير وعدو العلماء وعدو المسلمين وعدو أهله . بل وعلو نفسه . فلم هذه الجاملة؟» .

وصح من هذا كله أن الأمير عدوه الذي لم ينس عداوه بعد أن فارق الحياة لأنه أراد للأزهر وللمعاهد الدينية وللمحاكم الشرعية نظاماً غير النظام الذي ارتضاه لها الأمراء منذ مائة سنة ! .

تلك عداوة الأمير للمصلح الكبير من أجل رسالته الباشية .

فأين الصدقة الباقية له بعد خمسين سنة؟ .

### فى ذمة التاريخ

ومهما يكن من غلط التاريخ فلنحسب له من الحسنات أنه في هذا المقام أصوب من التلاميذ والمربيين . ومن الأحياء الذين لا يذكرون ولا يشكرون أ

## المجتمع ووسائل الإنتاج

أين هم.. ياعدوا؟؟

قرأت أخيراً مقالين للأستاذ... . نبهني إليهما صديقان من الأدباء.

والذى يعني القراء من هذين المقالين موضوعان علميان . وهما موضوع الإنتاج المادى فى الشيوعية ، وموضوع الفرد وحقوقه فى الوجودية . ويلحق بهما ذيل يتعلق بالأبراء الذين يقول الأستاذ... . إننى رميتم بالشيوعية وهم لا شيوعيون ولا هم يطيقون الشيوعية من بعيد . ولا عمل لهم إلا أن يعلنوها فى السر - فى السر فقط - ويرافقوها فى العلانية من قبيل المجاملة ليس إلا .

أما موضوع «وسائل الإنتاج المادى» فالأستاذ... . يزعم أننى أنكر تأثيره فى حوادث التاريخ وهو زعم غير صحيح لا أقول به ولا أعلم أن أحداً من أصحاب المذاهب الاجتماعية قال به فى عصر قديم ولا حديث .

فتآثير وسائل الإنتاج أو الماديات على الإجمال مسلم مقرر فى أقدم الآراء ، ولم يخترعه الشيوعيون أو الماديون التاريخيون ، وإنما جاء الشيوعيون أخيراً بإنكار كل شيء غير وسائل الإنتاج ، فلا أديان ولا عقائد ولا أداب ولا فنون إلا من وسائل الإنتاج ، وبغير وسائل الإنتاج لم يكن من الممكن ظهور الحقائق المجردة فى الرياضيات ، فإنها لو لا الاتساع بها فى وسائل الإنتاج لم يكن من المستطاع أن يدركها عقل الإنسان .

هذا الذى ننكره ونعلم أن كارل ماركس إمام الشيوعية يخلط فيه خلطًا ذريعاً لا يستقر على قرار .

فهو تارة يدعى أن وسائل الإنتاج هي التى تخلق الطبقة المسيطرة على المجتمع ، وتارة يدعى أن الطبقة المسيطرة هي التى تخلق وسائل الإنتاج . وفي غير هذين للموضوعين يقول إن المكتبات ومصنوعاتها هي المهم فى تطور التاريخ . وفي موضع آخر يقول إن المهم هو العلاقات الاجتماعية التى تربط بين المشتغلين بتلك المكتبات والمصنوعات ، ويهرب من مناقضة الواقع فيقول إن المؤثرات المادية القديمة قد تبقى

بعد أوائلها بحكم العادة ولكن لا يقول لنا ما هي تلك العادة التي المادية الحاضرة بفعل المؤثرات المادية قبل خمسين أو ستين سنة .

هراء يحسبونه علمًا وهو أهزل من الهراء ، وما كان لنا أن ننكر ، الماديات حقها من التأثير ولا يلغى كل ما عدتها من عوامل التاريخ . فـ المادية الذى يفسر تحنيط الموتى وحرق جثثهم بسبب واحد فتحن لا ننكره . بـ كما يظن الأستاذ... . متواضعاً فى الطعن .. بل نحن نقول كما تقدم إنه هراء من أهزل الهراء ، أو أنه يمررت دون ذلك أهزل من الهراء .  
ويرى الأستاذ... . إننا أخطأنا فى القول بأن الوجودية تقر الفردية . فليعلم الأستاذ... . إذن إننا نتعدها أن يذكر معنى واحداً للوجودية غير الفردية من الألف إلى الياء . فالوجودية كما يدل عليها اسمها مأخوذ من الوجود Existence مقابل المادية Essence .

ومعنى هذه المقابلة أن الموجود الحقيقي هو الفرد ، وأن الماهية كلمة على اللسان لا وجود لها فى الخارج .

فزيد وبكر وعمرو وخالد موجودون لا شك فى وجودهم ، ولكن «الإنسانية» التى تجمعهم فى ماهية واحدة خيال فى الذهن أو كلمة على اللسان . إذا استطاع الأستاذ... . أن يذكر للوجودية على تعدد مذاهبها معنى غير هذا فليتفصل بذلكه وذكر مدلوله الذى يراه ، وإنما لمنتظرون . وبعد هذا نهلل قليلاً للأستاذ... . لغيرته على الأبراء المتهمين ، ونصيح أو نهم ولتكنا لا نذكر إننا تعرضاً للاهتمام مراراً من هؤلاء الأبراء حتى نعود إلى التهليل والتسبيح مع إيقاف التنفيذ ، فإننا لا نرى أين كانت غيره الأستاذ... . على الحق يوم تطاول على كاتب هذه السطور من لا يرتفعون إلى مواطن نعله فزعموا أنه كاتب مأجور .

والى أن يقول لنا الأستاذ... . أين كان يوم كان أبرياً يقتذفون بالإفك والبهتان - نحب أن نبلغه بعض الإشاعات عن مخلوق يقال له العنقاء تارة ويقال له الشيوعية تارة أخرى بما لها فى العالم من دعایات وأذناب ومؤجورين .

لا يحتاج منا الأستاذ... . إلى قسم لنقول له إن تلك العنقاء موجودة لاشك فيها ، ولا يحتاج منا إلى قسم لنقول له إن هذه العنقاء لها دعوة منتشرة فى أرجاء

## مذاهب التطور

قرأت في إحدى الجرائد مقالاً عن لامارك جاء فيه أنه قام في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٤٨ مذهب جديد في التطور قريب الشبه جداً بمذهب لامارك في توارث الصفات المكتسبة يقوم هذا المذهب على اعتبارات سياسة جدلية مادية ويتعارض مع قوانين الوراثة المعروفة ، وقد قوبل ب النقد من سواء في أوروبا وأمريكا ، ومن بعض العلماء في الاتحاد السوفيتي ، وأكبر أنصار هذا المذهب الأكاديمي ليستنكو ، فأرجو أن تتذكروا علينا بتناول هذا المذهب الجديد بشيء من الإيضاح .

سعيد أحمد البطرى

مدرس العلوم بمتوسط الثانوية

المذهب الذي يشير إليه الأهميتساذه ليس فيه جديد في عالم الفلسفة الماركسية نفسها كما وضعتها كارل ماركس والبخل من ذكره أكثر من مائة سنة . فإن آراء «ليسكنو» كلها قائمة على التفسير المادي للاجتماع وللحياة ، فليس في المجتمعات البشرية على رأيهما ظاهرة سابقة أو لاحقة لا تفسرها الظروف المادية الاقتصادية ، وليس في أطوار الحياة ظاهرة أصلية أو متفرعة لا تفسرها الظروف المادية الطبيعية ، وكل ما في الإنسان وفي عامة الأحياء من الخصائص والطبائع والأفكار والأخلاق فإما هو من أثر البيئة قديماً في النسلات Genes والصبغيات Chromosomes التي تتألف منها الخلايا التناسلية ، ولا فرق في ذلك بين الموروث منها والمكتسب غير فرق الزمان الطويل أو القصير .

ونطبق هذا الرأي لم يثبت شيئاً جديداً في مسألة الوراثة بين الأحياء ، ولم يثبت في عالم النبات غير ما سبقت تجربته في تحسين البذور وتحويل الفصائل بالتطعيم والتزريع ، وكل ما عدا ذلك فهو لغو أجوف لم يقم عليه أقل دليل .

ولا يتسع المقام لتفصيل هذه التجارب ونتائجها ، ولكن الأستاذ صاحب السؤال يستطيع أن يرجع في ذلك إلى كتاب العالم البولوني ليوبولد إنفلد Infeld الذي ألفه عن تطور الطبيعيات Evolution of Physics ، وإلى كتاب Death of a Science «موت علم» وهو مجموعة من المباحث في علم النسلات أو «الجينات» بإشراف البروفسور زيركل Zirkle أستاذ علم النبات بجامعة بنسلفانيا وصاحب التجارب الواسعة في تدجين النبات .

الكرة الأرضية ، وإنهم - بغير قسم أيضاً - لم يغفلوا عن الديار المصرية بصفة خاصة . لأنها مفتاح الشرق والعالم الإسلامي والبلاد العربية والقاربة الأفريقية في وقت واحد .

ولا يحتاج من الأستاذ مرة أخرى إلى قسم لنقول له إن الدعاة لهم عمل مطلوب منهم ، وهو ترويج سياسة الكرملين والحملة على خصومه بكل حجة مدعية إلا أنهم خصوم الشيوعيين .

والآن وبغير حاجة إلى قسم أيضاً ، نتحدى الدكتور ... أن يذكر لنا كاتباً فرداً من أبرياءه كتب حرفاً واحداً يخالف سياسة الكرملين في عهد من عهوده وأنه ليعلم أن أبرياء مصر يرون - مصريون جدًا - ولكنهم لم يحملوا على الصهيونية مرة واحدة يوم كان مرضياً عنها من الكرملين ، ولم تكن حملتهم هنا إلا تابعة للحملة من هناك .

وهؤلاء الأبرياء - وباللمسايدة البريطانية - هم الذين يحملون على كاتب هذه السطور ، ولا يعرفون سبباً للحملة عليه إلا ما يفترضه من الأكاذيب التي يظهر بطلانها من نظرة واحدة ، بل يظهر أنها مناقضة للحقيقة في الجملة والتفصيل .

والعجب أن أبرياء هؤلاء لم ينسوا بكلمة في نقد الشيوعية والتحذير من خطرها ، وهم مع ذلك في رأي الأستاذ ... لا شيوعيون ولا يطبقون رائحة الشيوعية من بعيد .

أفي وسع الأستاذ ... إذن أن يدلنا على أذناب الشيوعية أين هم إن لم يكن هؤلاء هم أولئك الأذناب؟

أفي وسع الأستاذ أن يفهم ويريد منا أن نفهم ، أن الشيوعيين لهم دعوة ماجحورون ليحملوا الشيوعية بالدعاء في المساجد والكنائس وإقامة الصلوات في الخلوات والمخارب . الأبرياء الذين لا يخالفون سياسة الكرملين بحرف واحد ولا يكفون عن الافتراض على خصومه هم أبرياء والله العظيم .  
سلمتنا يا أستاذ .

فأين هم الشيوعيون غير الأبرياء يا ترى؟ أين هم بالله عليك؟

أغير موجودين؟ مستحيل!

أم موجودون ولكنهم غير هؤلاء؟

لعلهم كذلك . ولعلهم يلبسون طافية الإخفاء . ويهمسون تحت الأرض أو يخدعون الشيوعية بالصلة والدعاء .

## الקדيس والتشویه في التاريخ

القديس ماكلين

.. وهذا مسوخ قد ظهر بتطويب القدسية على ما يظهر من كهنوت الماركسيين .. هذا هو ماكلين .

كان ماكلين جاسوساً مسوحاً سكيراً يعمل في مصر خدمة الصهيونية وبيذل جهده لاقناع دولته بضرر المصريين والاستيلاء على حكومة هذا البلد لأنهم اجترأوا على مقاومة إسرائيل .

وكتبنا نحن ننكر ذلك فيما أنكرناه فحققت علينا اللعنة من سماء الماركسية السفلية ، لأننا ذكرناه بغير ما ينبغي من التقديس والتطويب .

وكتب إلينا السيد «محمد على أحمد» من شارع بين الصورين يحيينا تحية شكره عليها ثم يروي لنا بما اللعنة التي حققت علينا للمساس بالقديس المظلوم .

قال : « .. ومشينا في حواري وأزقة ملتوية رائحة العفونة والقادورات تركم الأنوف منها .. ودخلنا الماتحور العفن فوجدنا في غرفة ضيقة بضعة من الأشخاص جالسين ذوى لحى وشعر منقوش بينهم فتاقان .. وقدمني إليهم على أنى رفيق عاطف» .

إلى أن قال : «إلا أن جادلهم الأكبر ما أنفك أن أargin وازيد ويدا في الهذيان والهجوم الحقير على شخصكم الكريم وانتقل إلى مقالكم الهائل عن الكلبين ماكلين ويرجس فقال إن سعادتكم المجلة هي التي تتهرب من اتهام نفسها ... وإنكم إلى الآن لم تتزوجوا وأنه يوجد شخص عند سعادتكم سموه عم مرسى وفضحوا إلى إحدى دسائصهم وأفعالهم وأنهم لهم دائمًا جواسيس في مجالسكم قاتلهم الله ..» .

وصاحب الخطاب السيد «محمد على أحمد» طيب القلب جداً - كما هو واضح في خطابه ، لأنه لم يستطع أن يتخيل الهاوية التي ينحدر إليها هذا الواعشن البشري ، فلم يخطر على بالـ أن إنساناً يتشوّه هذا التشوّه فيتعصب للصهيونية على قوته ويغضّب لقاومتها وذكر الحقائق عن العاملين خدمتها .

وقد يشوّه الطبع فيبتذل الصدق ويسقط في حساب الأخلاق وفي حساب الغيرة الوطنية وفي حساب العقيدة الدينية ثم يبقى له أثر من الشعور الأدمن يثير فيه شيئاً من النحوة لثبات الآلوف من الأطفال والنساء والشيوخ المشردين على مرأى من بلادهم ليستريحها شذاذ الآفاق من صنائع الاستعمار .

أما أن يبلغ التشوّه هذا المبلغ بمخلوق آدمي فلا صدق ولا وطنية ولا دين ولا مروءة إنسانية فهذا من وراء الخيال - بحق - في تصور الرجل الطيب كاتب الخطاب .

ولكن كاتب الخطاب يفترط في الطيبة إذا ظن أن الصدق شيء له قيمة في كلام الذين يقدسون ماكلين وأشباه ماكلين ، وكثير منه أن يظن بهم الصدق حتى في دعوى التجسس على بيته ، فإني أسكن هذا البيت منذ ثلاثين سنة لم يدخله أحد قط يسمى «عم مرسى» وليس في وسع أحد أن يخلق «عم مرسى» هذا أو يدل على ... وهكذا يقتنع الصدق عليهم حتى فيما لا شرف للصادق فيه ، وأما الزواج والعزوبة فما دلالتهما إن هردوها أو كذبوا؟ ألم يكن ماكلين من المتزوجين؟ والعبرة من قصة القديس ماكلين هذه أنها تبين «الزوم» الماركسية لهذا الواعشن المسوخ من الأدمنين .

فلا يستطيع مخلوق يعلم أنه ساقط في حساب الخلق والوطنية والدين والشعور الإنساني ثم يتحمل هذا الخزي دون أن يبغض نفسه بيديه .

فإذا كانت الماركسية تتقنه من هذا الخزي وتحسبه شرفاً له فهي أحق بضرب المثل من تهافت الغريق على القشة في التيار الجازاف . وغير عجيب أن يتهافت عليها المسوخ المشوه وهي بدبل عنده من الخزي والانتحار .

وأود في ختام هذه الكلمة أن أهدى من غضب الرجل الطيب وإخوانه لأنهم لا يريدون أن يسمعوا كلمة تکدرهم عن كاتب هذه السطور ، فالكلمة التي تکدرهم في الواقع هي كلمة ثناء علينا تخرج من فم واحد مع الثناء على ماكلين وأشباه ماكلين . وما يفسرهم أن يصبح كاتب هذه السطور ويسى ملعوناً مكذوباً عليه من يوزن ثناوئهم بذلك الميزان .

## من عالمنا... إلى العالم الآخر.

ومع ذلك قد يدهش الكاتب الكبير إذا علم أن الأبحاث في هذا المضمار لا تزال جارية باستخدام وسائل البحث الحديث لمعرفة مقداره بدقة أكثر».

وللأستاذ علينا حق الشكر لأنه أراد أن يدهشنا بشيء عجيب في هذا الزمن الذي لا عجيب فيه.

ولكن هي الأيام قد صرنا كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب ولكن نوى أن يدهشنا فكتب له ثواب النية دون أثرها ومقصدها ، فإن خبراً عن بحوث إراثتين لن يدهشنا لسبب بسيط لا حيلة للأستاذ ولا لنا نحن فيه .  
فحكاية إراثتين هذه قد كتبنا عنها قبل أكثر من ثلاثين سنة فقلنا في فبراير سنة ١٩٢٤ :

«وعلى خطوات من ذلك المقياس بشر أخرى لا تقل عن بشر المقياس خطراً ولا تقصر عنها عراقة وأثراً .. تلك على عهدة الرواة - بشر إراثتين التي اهتدى منها إلى قياس محيط الأرض وأدرك على قاب لحة فيها ما لا يدركه الآخرون بغير طاف الأعوام والشهور وعرف قبل المسيح بقرون ما أيده العلم بعد المسيح بقرون» .

كتبنا هذا قبل أكثر من ثلاثين سنة ، وسمينا قصته قبل أكثر من أربعين سنة ، لأن المكان الذي عرف فيه العالم الأسكندرى زاوية الفلك بين أسوان والإسكندرية إنما كان حيث ولدت ، على مقربة من مسقط رأسى ، ورأينا وعرفنا قصته على غير اختيارتنا كما نرى البيوت والأثار من حولنا ، ثم تتبعنا الجديد في هذه القصة بعد القدم فلم نر فيه تعديلاً لقاعدة ولا تخطئة لنظرية ، ولم نعلم أن دقة أكثر من تلك الدقة أضيفت في الزمن الحديث إلى القاعدة التي اعتمد عليها العالم القدم ، لأن هذه القاعدة لا تتغير ولن تتغير ولا يمكن أن تتغير ، وهي أن العلم بطول الجزء من الخليط يعرفنا بطول الخليط كله ..

هذه هي القاعدة التي اعتمدها إراثتين ، وهي لا تتغير في هذا الزمن ، ولن تتغير أبداً الأبديين ودهر الدهارين ، وليس الخطأ منها ولكن من حساب أسوان واسكندرية على خط مستقيم ومن حساب الأرض كrama التدوير .  
ولا شأن للآلات الحديثة بهذه الحقيقة لأن تغيير الآلات لا يغيرها ، ولكنه يغير قياس المسافات الأرضية سواء أخطأ إراثتين أو أصحاب ، وكل ذلك تتجدد المعايير والضوابط ولا يحتاج العلم بالجديد منها إلى أكثر من النظر بالعين .

أذاع البرق من أمريكا ، منذ أيام ، خبراً مفصلاً بعض التفصيل عن كشف جديدة في كوكب المريخ ، وصل إليها أحد العلماء الأمريكيين ، فوجدنا أن تلك الكشف مشروحة في الكتب الفلكية المبسطة وغير المبسطة التي طبعت قبل عدة سنوات ، ونقلنا ما أثبته الفلكيون في تلك الكتب عن لون الكوكب وعن الماء والأكسجين الطليق فيه وعن النبات الذي يجوز أن ينبع في جوهه ، ومنه ما هو مذكور باسمه كالصبار وجزار الصخر أو زهرة الحجر التي يعرفها أبناء الكرة الأرضية .

ومن الواجب أن نقول إن تلك الكشف مسبوقة لأنها في الواقع مسبوقة لا يجوز أن يقال عنها بسان البرق إنها كشف جديد لم يعرف قبل الآن .

ولكن الأستاذ الفاضل الدكتور «إمام إبراهيم أحمد» مدرس الفلك بكلية العلوم بجامعة القاهرة كتب إلى «الأخبار الجديدة» يرد على ملاحظاتنا ليقول :

«فلنفرض جدلاً أن الخبر كما نشر لا يحوي جديداً فإنه ليس بخاف على الأستاذ العقاد أن من أصول البحث العلمي أيًّا كان نوعه تكرار المشاهدات والتجارب التي أجريت حتى منذ مئات السنين» .

ونقول نعم ... هذا من أصول البحث العلمي التي لا تخفي على أحد ولا يمكن أن تخفي عليه لو أراد أن يخفيفها عن نفسه . فإن البحث العلمي لا ينقطع ولا يبطل فيه تكرار المشاهدة ، ولكن ليس من أصول البحث العلمي في هذه الحالة أن يقال عن القدم السابق إنه جديد غير مسبوق ، وإنما تقضي أصول البحث العلمي أن يقال إن هذا الكشف يؤيد الكشف الذي سبقته حيثما اتفق التأييد .

وأراد الأستاذ الفاضل أن يدهشنا فقال :

«... ولنذكر للأستاذ العقاد على سبيل المثال لا الحصر أن إراثتين Eratosthenes في حوالي عام ٢٣٠ قبل الميلاد حسب مقدار نصف قطر الأرض

\* أخبار اليوم : ١٥/١٠/١٩٥٥ . وانظر ما يأتى من ص ١١٥ .

## أكاذيب السياسة \*

وصلت الطبعة الأمريكية من كتاب جنتر Gunther عن القارة الأفريقية Inside Africa.

وgenter هذا هو صاحب المؤلفات المشهورة عن داخل أوروبية وداخل آسيا وداخل الولايات المتحدة وداخل أمريكا الجنوبية . وما وراء الستار من القارة الأوروبية .

وملاحظتنا على هذه المؤلفات أنها حافلة بالمعلومات المباشرة والصور الشخصية والأخبار «الصحفية» التي يفرغها في قالب التاريخ . ولكنك لا تستريح إلى أحکامه كما تستريح إلى معلوماته وصوريه وأخباره لأنك قلما يخالف أحداً من ذوي الجاه في بلد من البلدان ، وقد يرضي أكثر من فريق واحد بين ذوى الجاه هنا وهناك .

ومن أمثلة ذلك كلامه عن السودان .

فالسيد عبد الرحمن المهدى عنده زعيم لا يحب أن «تبليغ مصر بلاده» .  
وماذا عن ابتلاع الإنجليز؟ .

لا شيء ! ولا حرف ..!

وعنه أن المهدى الكبير زعيم مات قبل الأربعين ولكنه أفلح في إنقاذ السودان من طغيان المصريين .

وأجهل المؤرخين المعاصرین يستطيع أن يعلم أن أبناء مصر والسودان قد ثاروا على طغيان واحد ، وأن ثورة مصر على ذلك الطغيان كانت سابقة لثورة السودان بسنوات .

وندع ما عدا ذلك من أكاذيب السياسة التي يجريها مجرى الواقع المسلمة فعنده أن الإنجليز تدخلوا في السودان لأن مصر فزعت إليهم وتوسلت إليهم أن ينقذوها من ورطتها في الجنوب .

\* أخبار اليوم : ١٠/١٠/١٩٥٩ .

والشيء الذى لم نفهمه هو قول الأستاذ الفاضل إن النتائج «جاءت بما يعتبر كشفاً جديداً في هذه الدراسات . فقد وجد الدكتور سلipher Slipher أن هناك تغيراً كبيراً في المساحات الداكنة وهي أول مرة يثبت فيها تغير بهذا المقدار» .

فالذى نفهمه أن هناك عالمين يبحثان في أرصاد المريخ أحدهما يسمى سلipher Slipher والأخر يسمى بروسيفال لوويل Lowell ، ولا يوجد عالم يسمى سلipher لوويل كما جاء في مقال الأستاذ .. وليس بحث سلipher مقصوباً على المريخ وحده ، وإنما يرصد اللون الأحمر في المريخ وفي غيره ليعلم منه مقدار المسافات التي تبعد بها كواكب المجرة إذا اختلف لونها وضررت قليلاً إلى الأحمراء .

والرأى الذى أشار إليه بروسيفال لوويل قد عول فيه على رأى العالم الإيطالي شيباباريلى Tullio Schiaparelli واعتقد بناء على ذلك أن في المريخ أقنية مصنوعة على أصول هندامية ، وظهر لبعض الراصدين أن هذه الأقنية تحيط بها بقاع زرقاء مخضرة في بعض الأوقات وسماء داكنة في أوقات أخرى ، ونشر هذا كله في مؤلفات مبسطة تقريرها يرجع إلى الطبعة الأخيرة في السنة الماضية من كتاب «موجز السماوات» مؤلفيه الثلاثة برنارد وبنيت ورويس ، وكلهم من الرياضيين الفلكيين .

فلا جديد فيما قاله الأستاذ الفاضل أخيراً ولا فيما قاله وكلاء الآباء البريقية ، ومقطع الرأى أن يذكر لنا الدكتور «إمام إبراهيم» حقيقة الكشف الجديد ووجه القول بجديته من اختلاف المقادير والمسافات .

ويومئذ نستطيع أن نحيله على مرجع سابق يذكر هذا الاختلاف بمقاديره ، أو نعلم حقاً أن الكشف الجديد غير مسبوق فيما علمناه من كتب الفلك التي يقرأها غير المختصين ! .

## دهشة أخرى٠

الآن أدعشنا «الدكتور إمام إبراهيم أحمد» بعد أن أراد أن يدعشنا في المرة الأولى فاختطاً لهلفٍ .

أراد أن يدعشنا بخبر عن «إراثتين» وهو لا يعلم أن العلامة الفلكي القدم «بلدينا» على وجه من الوجه ، وأتنا جلسنا حيث كان يجلس ونظرنا على التحقيق إلى مساقط الأشعة الشمسية حيث كان ينظر إليها ، وسمينا بقصته قبل أربعين سنة وكتبنا عنه قبل ثلاثين سنة ، وتبعنا ما يقال عنه وعن نظريته قليلاً فيها ما يدعشنا في هذا الزمن الذي لا ندرى هل تقل فيه المدهشات أو تكثُر ، وهل تنقص أو تزيد .

أما الآن فالدكتور الفاضل يعرض ما فاته ويدعشننا على غير قصد منه ، دهشة تستحق تعب السطور التي كتبها والتي نكتبها في الإشادة بها والإشارة إليها .

قلنا في تعقيبنا على كلام الدكتور «إنما يقصد اللون الأحمر في المريخ وفي غيره ليعلم منه مقدار المسافات التي تبعد بها كواكب المجرة إذا اختلف لونها وضررت قليلاً إلى الأحمراء» .

فعلق الدكتور على ذلك قائلاً : «على الأستاذ الكبير يقصد ما يسمى Doppler Shift وهي تغير موضع خطوط الطيف نحو المنطقة الحمراء في الطيف والتي يمكن منها حساب السرعة التي يبتعد بها النجم ولا يجعله يضرب قليلاً ولا كثيراً إلى الأحمراء، أم لعله يقصد تغيير لون النجم إلى الأحمراء بتأثير مواد ما بين النجوم Interstellar Matter ولكن هذه الدراسة لا تصل بنا إلى استنتاج السرعة التي يبتعد بها النجم» .

### وكله مدھش

وكل ما قاله الدكتور في هذا التعليق مدھش حقاً لأنه ينفي أموراً مقررة في كتب الثقات من الرياضيين والفلكيين ، وعليهم نتول فيما نذكره عن هذه الملاحظات .

فاللون الأحمر يتزايد كلما ابتعد النجم أو كلما أسرع مبتعداً عنا ، ونحن ننقل له سطرين بنصهما الإنجليزي من الصفحة التاسعة والتسعين من كتاب طبيعة الكون لمؤلفه فريد هويل Hoyle حيث يقول :

\* أخبار اليوم : ٢٢/١٠/١٩٥٥ . وانظر ما مرضى قريراً من ١١٠ .

وأجهل المؤرخين المعاصرين مرة أخرى يعلم أن الإنجليز أكرهوا مصر على «الفزع» وأسقطوا وزيراً لأنه لم يقبل أن يفرج كما أرادوا .

إلا أنا - بعد هذه الأباطيل - نحمد الله على اليوم الذي دخلت فيه أفريقيا في حساب كتاب الغرب ، فكتبوا عنها كما يكتبون عن قارات الدول القوية ، بل زادوا في تصيبها على تصيب تلك القارات لأن كتاب جنتر عن القارة «المجهولة» أضخم وأهم من كتبه الأخرى .

لقد كانت هذه القارة مجموعة من الملحقات بالإنجليز وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبالبرتغال ، وكل من مد يديه للحاق القسم التتفق عليه من أقسامها ، أو من أسلائتها .

فاليوم هي «كيان» مقصود لذاته . غير محسوب على سادته ، يبحثون عن مستقبله من داخله ولا يكفيهم أن يبحثوا عنه في لندن وباريس وبرلين ، وغيرها من عواصم السادة المستعمرين .

و هنا أيضاً نعتمد على مصادر الشفافات التي يكتبها المختصون لغير المختصين ، بل هذا المصادر الذى نعنيه مكتوب للمختصين بالأسلوب نفسه نحن ويفهمه من لم يتغروا للدراسة الفلكية ، ونعني به مبحث الأستاذ كاهن Kahn في العدد الرابع والثلاثين من مجلة أخبار العلوم إذ يتكلم عن مواد ما بين النجوم في العدد الرابع والثلاثين من مجلة أخبار العلوم إذ يتكلم عن مواد ما بين النجوم Interstellar Material وعن علامات الألوان بالنسبة إليها فيقول : اللون الأزرق أسرع زوالاً من اللون الأحمر ، وأن هذا لا شك وسيلة من وسائل الاستنتاج لا يلزم أن تكون وسيلة مباشرة ولكنها مؤدية إلى النتيجة من طريق غير بعيد .

ونعود فنقول إن الدكتور كاهن مختص بمراقبة المواد التي تخلل الفضاء بين النجوم ويدرس الفلك بجامعة ماشستر ويشترك مع كبار الأساتذة الإنجليز والألمان وأخرين الأستاذ أورت Oort بلدين Leiden وهو مرجع للعلماء في هذه البحوث .

وبعد فالذى نود أن يعلمه الدكتور الفاضل أنتا لا نقرأ هذه الدراسات لنكون فلكيين أو رياضيين ، ولكنه يستطيع أن يقول كل البيقين أنتا لا نبيع لأنفسنا أن نخط كلمة فيها ما لم نكن معتمدين فيها على مراجعها ، والتبعية بعد ذلك على المراجع إن كانت تبعة ، ولكنها إذن تبعة لا يسلم منها إنسان .

### قزل باش

ومن قزل نجم ننتقل إلى قزل باش .

أما «قزل نجم» فهو المريخ .

وأما «قزل باش» فهو الرأس الأحمر باللغة التركية ، وهو انتقال إلى قصة الطربوش ، لأن هذا الغطاء الأحمر للرءوس لا يزيد أن يحتجب عن الأعين بسلام . قلنا في مقال لنا : إن الترك العثمانيين أخذوا الطربوش من اليونان ، وأنه الآن يفارق الرءوس بعد أن تركه اليونان والعثمانيون وأوشكنا أن نتركه نحن المصريين .

فكتب إلينا السيد «حسن نصرت» يقول : إن الترك عرفوا غطاء الرأس الأحمر من غير اليونان ، وأن طائفة منهم في آسيا الصغرى تلبسه وتسمى من أجل ذلك «قزل باش» وأن الطربوش باق إلى اليوم بين المسلمين في بلاد البلقان وما جاورها . والسيد «نصرت» لم يخطئ حين قال إن الترك اتخذوا غطاء أحمر للرأس غير الطربوش .

ولكن الفرق بعيد جدأً بين «القزل باش» والطربوش اليوناني على أنواعه . لأن

In fact, by measuring the degree of the reddening we can deduce the speed with which a body is receding.

وترجمتها الحرافية : «نحن في الواقع بقياس درجة الاحمرار نستطيع أن نستخرج السرعة التي يتراجع بها الجرم عنا» .

وقد وضع الأستاذ هويل ما يعنيه فقال : «ولعلك لاحظت أن الصفاراة في القطار المقليل لها حدة صوتية أعلى من الصفاراة في القطار المدي .. فالنور الذي يصدر من مصدر متحرك له هذه الخاصية بعينها ، فحدة النور تهبط أو كما نقول عادة تحرر كلما كان المصدر يتحرك مبتعداً عنا . ونحن نلاحظ أن النور من المجرة يحرر وأن درجة الاحمرار تزداد على نسبة ابتعاد المسافة عنا» .

إذاً لم يكن معنى هذا أن الكوكب يضرب إلى اللون الأحمر فماذا يكون معناه؟ ولقد كررنا أن الكتب التي نقرأها نحن مسائل الفلك هي الكتب الموضعية لغير المختصين ، ولكن لا يفهم من ذلك أن الذين كتبوها غير مختصين بعلومها لأن الواقع أنهم جميعاً من أكثر المختصين اختصاصاً بما يكتبون فيه .

والأستاذ هويل يدرس علومه في كامبردج ويقوم بالرصد أحياناً في أكبر المرصد العالمية وهو مرصد مونت بالومار Palomar ويتولى في هذه الموضوعات خاصة ومنها كتابه في طبيعة الكون وكتابه في المباحث الجديدة عن طبيعتيات الشمس وكتابه عن حدود علم الفلك ، ورسائله القيمة التي يقرأها في المعاهد الرياضية الفلكية وتلقى كل عناية واحترام .

واللحظة التي ينفيها الدكتور إمام منشورة في كتاب بلغ من ذيوعه أنه صدر في ثلاثة طبعات ، وأنه كان موضوع التعليقات الإذاعية والصحفية والتقريرات من كبار العلماء .

أما إحمرار لون النجم بتأثير المواد المنبثة في أجواز الفضاء فلم يكن مما قصدناه في مقالنا السابق ولكننا ندهش لقول الأستاذ «إن هذه الدراسة لا تصل بنا إلى استنتاج السرعة التي يتبعدها النجم» .

لأن هذا الغبار Dust المنبث في الفضاء يمكن أن تعرف مواضعه ويمكن لذلك أن تعرف لحظة دخول الكوكب فيه ولحظة خروجه منه ، وتقاس بذلك سرعته كما تقاس سرعة كل كوكب في الفضاء بالنسبة إلى الواقع التي يعبرها .

لقد كان الباحثون في توحيد الرأس يتجهون في بحثهم وجهة غير صحيحة إذ يظنون أن الأوروبيين موحدون في غطاء الرأس وأنتا نحن المصريين خاصة غير موحدين.

فتسمية الغطاء على الرأس بين الأوروبيين باسم واحد - وهو القبعة - لا يعني أنهم متفرقون في زى واحد ، فإن الفرق ما بين قبعة وقبعة أبعد من الفرق بين غطاء الرأس في الهند وغطاء الرأس في قطر من الأقطار الأوربية ، وإذا نظرنا إلى القبعة بأشكالها وألوانها والأنسجة أو الجلد التي تصنع منها فقد يجتمع منها مائة شكل أو تزيد ، ولكننا إذ حصرنا أغطية الرأس المصرية لم تختلف هذا الاختلاف ، ولم يكن منها - عدا العمامة والطاقية - إلا طريوش واحد بلونه وشكله ونسيجه مشابها على جميع الرعوس .

فمسألة التوحيد في غطاء الرأس عندنا ليست بالمشكلة التي تبالغ فيها بالقياس إلى أغطية الرأس عند غيرنا .

ولكن الأوروبيين يخلعون القبعة في الطريق وفي محل العمل وفي البيوت ويحبونها مع ذلك «غطاء للرأس» لا يزال على هذا الاعتبار كما كان قبل القرن العشرين .

أما نحن فنخلع الطريوش ولا نتخد لغطاء قومياً للرأس يحل في محله ، أو نتمثل به قوميين بغضائنا الخاص كما يتمثل الأوروبيون «مقيعين» سواء لبسوا القبعات أو حملوها في اليد أو تركوها في البيوت .

ولا اعتراف لنا على زى من الأزياء يقع عليه الاختيار بلا تفرقة بين الطريوش والطاقية واللبدة والعمامة ، ولكن كيف يا ترى يقع هذا الاختيار ؟

إننا نغتبط بحرية الفرد في ملابسه أمام قيود المجتمع التي لم يكن لها معنى في العصور الماضية .

ولكن الانتقال من تلك القيود إلى الفوضى التي تلغى وحدة المجتمع لا تؤمن عقباه على الحياة الاجتماعية في الشؤون الجدية التي تتماسك عليها بقية الأمة .

والشعائر والرموز حقيقة لاتنساها ولا نستطيع أن ننساها . فإن المجتمع الذي لا يذكرنا بوجوده وحقوقه بشيء يواجه النظر والخيال يسهل نسيانه في غير هذه الظواهر التي نظن لأول وهلة أنها ليست ذات بال .

وقبل أن نقول ذهب الطريوش يجب أن نتحسن جوانب رعوسنا لنعلم ماذا نضع عليها في مكان الطريوش ؟

«النزل باش» يطلق على أصحاب طريقة دينية تلبس العمامة الحمراء ذات العذبات الاثنين عشر وتعتقد أنها عمامة الإمام على بن أبي طالب عليه السلام وأن العذبات فيها إشارة إلى الأئمة الاثنين عشو من ذريته ، ولم يلبس هذه العمامة أحد من سلاطين الترك العثمانيين ، بل لبسها على تقىضي ذلك شاهات الفرس الصفويون لأنهم من الشيعة على خلاف الترك العثمانيين فإنهم سنيون وبينهم وبين القائلين بالإمامية الاثنين عشرية أو الإمامة على إطلاقها خلاف شديد .

وهذه الطريقة الدينية تنطوى على أسرار تكتمتها ولا توافق السنة ولا الشيعة في عقائدها وشعائرها ، ومنهم من يصوم الأيام الأولى من المحرم - أول السنة الهجرية - ولا يصوم شهر رمضان ، ودعواتهم التي يرتلونها في الأناشيد تردد فيها أسماء على وعيسي وموسى وداود . وكأنهم يميلون إلى التوحيد بين الأديان وإن كانوا لا يعلون ذلك لغير «الواصلين» .

ولم يخطئ السيد «نصرت» أيضاً حين قال إن الطريوش باق بعد زواله من البلاد التركية وأوشك زواله من البلاد المصرية ، لأنه أصبح شعاراً عيزاً للمسلمين البلقانيين ، يلبسوه في مواسمهم وأعيادهم ولا يلبسوه القلب أو القبعة ، ونذكر مما كتبته القصاصنة الإنجليزية ربيكا ويست Rebecca West في رحلة البلقان أن مسلمي الصرب كانوا يعتمدون لبس الطريوش أثناء زيارة رئيس الجمهورية التركية لبلادهم ولا يقابلونه بالهتاف ولا بالتحية ، لأنهم يستنكرون منه أن يخلع هذا الشعار ولا يلبسه إكراماً لهم أثناء هذه الزيارات الرسمية «القومية» .

### وفي أفريقيا الوسطى

على أنتا نذكر الآن أن الطريوش لا يزال معدوداً في الطليعة بين أغطية الرأس التي يحتفل بها أبناء أوغندا وأفريقيا الوسطى ، وقد ذكرنا ذلك يوم مرور «الكتاباكا» أي ملك يوغاندة بطار الماظة ، فإنه يلبس الطريوش أحياناً كما يلبسه جنوده الوطنيون ، وقد تختلف ألوانه بعض الاختلاف فلا تحصر في اللون الأحمر كطرابيشنا المصرية . ولكنه في قاليه وشكله طريوش مصرى لا تختلف فيه عينان .

### هل لابد من غطاء رأس؟

واضح أنه سؤال لابد أن توجهه إلى أنفسنا بعد ما رأينا من خاتمة عهد الطريوش . فهل ترك الطريوش ولا نخلفه «بغطاء رأس» على الإطلاق؟ وهل يبقى فريق منا بالعمامة وفريق منا عراة الرعوس بغير شارة قومية لغير المعدين؟

إلا أن بريطانيا العظمى لن تكون اليوم طرفاً أصيلاً في الحروب العالمية أو المشكلات الكبرى.

إنما الطرفان هما الولايات المتحدة وروسيا الحمراء ، ولا تستطيع الصهيونية العالمية أن تحارب الولايات المتحدة من معسكراها الأكبر في نيويورك ، لأنها لو فعلت ذلك هدمت بيتها على رأسها وتعرضت للاضطهاد المشروع بل للمنابع الشعبية .

وهي كذلك لا تستطيع تهديد روسيا لأن الشيوعية سلاح من أسلحة الصهيونيين يهملون به للسيطرة على العالم ، وقد رأينا نحن في مصر صهيونياً من أصحاب الملابس ينشر الدعاية الشيوعية ويشن الغارة على رأس المال .. وقد تعدل الصهيونية عن موقفها هذا مع روسيا فتحاربها وتشوه سمعتها ، فلا تبالى روسيا من حملتها هذه شيئاً لأنها حملة قائمة على كل حال .

هذه أهم الأسباب الدولية التي تؤذن بـ إدبار الصهيونية .

وإسرائيل نفسها سبب أقوى من كل سبب ، لأنها مخلوق متنافر لا يعيش إلا ليثير الشغب من حوله ويجر البلاء على نفسه .  
والبقاء في حياتك يا خواجة شاريـت .  
وفي حياة بن جوريون وكل بن صهيون .

## المنظمة الشيطانية \*

أقوى علامة على إدبار الصهيونية أن دعاتها يهشـون الآن باسمـها ويعترفون بـ وجودـها .

كانت الصهيونية العالمية تعمل في الخفاء وهي واثقة من نجاحـها مطمئـنة إلى وسائلـها التي تملكـها في كلـنا يديـها ، وكانت تفزعـ من ظهـور هـذه الوسائلـ لأنـها بـطيـعـتها لا تستـطـعـ العملـ في ضـوءـ النـهـار .

ولا نزال نذكرـ المـحـوارـ الطـوـيلـ الذـى دـارـ بـينـ الكـاتـبـ الإـنجـليـزـىـ شـسـتـرـتونـ وـبـينـ دـعـاةـ الصـهـيـونـيـةـ فـىـ إـجـلـىـرـىـ لأنـهـ ردـ كـلـمـةـ الـيهـودـيـةـ الـعـالـمـيـةـ فـىـ بـعـضـ أـقـوـالـهـ ، وـكـانـ خـلاـصـةـ ماـ كـتـبـهـ أـولـتـكـ الدـعـاـةـ وـكـرـرـهـ أـنـهـ يـجـلـونـ أـدـبـاـ كـبـيرـاـ مـثـلـهـ أـنـ يـخـدـعـ بـالـأـوـهـامـ الـتـىـ تـتـلـقـفـهـ أـنـوـاـءـ الـعـالـمـ عـلـىـ غـيرـ مـعـرـفـةـ ، فـيـنـ «ـالـيهـودـيـةـ الـعـالـمـيـةـ»ـ شـىـءـ لـاـ وجودـ لـهـ فـيـماـ زـعمـهـ .

أماـ الـيـوـمـ فالـخـواـجـةـ (ـشـارـىـتـ)ـ يـعـلـنـ وـجـودـ الصـهـيـونـيـةـ الـعـالـمـيـةـ وـيـحـجـجـ عـلـىـ «ـشـكـوـسـلـفـاكـيـاـ»ـ باـسـمـهـ وـيـكـرـرـ الـاحـتجـاجـ بـهـذـاـ اـسـمـ فـيـ الـخـطـبـ وـالـتـصـرـيـحـاتـ .

تلكـ وـلـاـ رـبـ عـلـامـةـ خـيـرـ .

تلكـ عـلـامـةـ عـلـىـ أـنـ الصـهـيـونـيـةـ الـعـالـمـيـةـ تـحـتـاجـ إـلـىـ إـثـبـاتـ وـجـودـهـ وـلـفـتـ النـظـرـ إـلـيـهـ ، وـعـلـامـةـ عـلـىـ أـنـ هـذـهـ الصـهـيـونـيـةـ الـعـالـمـيـةـ تـعـمـلـ بـيـدـيـهـاـ عـلـىـ هـلـمـ الـبـقـيـةـ الـبـاقـيـةـ مـنـهـاـ ، لأنـ الـيـوـمـ الذـىـ تـرـوـلـ فـيـهـ هـذـهـ «ـالـظـنـةـ الشـيـطـانـيـةـ»ـ هـوـ الـيـوـمـ الذـىـ تـتـكـشـفـ فـيـهـ لـلنـورـ .  
إنـ الصـهـيـونـيـةـ الـعـالـمـيـةـ أـخـلـةـ فـيـ الصـفـعـ لـأـسـبـابـ كـثـيرـةـ ، وـلـكـنـ الـأـسـبـابـ الـدـولـيـةـ أـهـمـهـاـ وـأـبـقـاهـاـ .

كانـ لـلـصـهـيـونـيـةـ شـأنـ كـبـيرـ يـوـمـ كـانـتـ بـرـطـانـيـاـ الـعـظـمـيـ طـرـفـاـ أـصـيـلـاـ فـيـ كـلـ حـربـ عـالـمـيـةـ ، فـكـانـ الصـهـيـونـيـونـ فـيـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ يـسـاـوـمـونـهـاـ عـلـىـ الـمـعـونـةـ الـاـقـتـصـادـيـةـ وـعـلـىـ نـشـرـ الدـعـاـةـ لـمـصـلـحـتـهـاـ فـيـ أـرـجـاءـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ .

\* أـخـبـارـ لـيـوـمـ ١٩٥٥/١٠/٢٤ـ .

ولا نذكر أن الشرق من أقصاه إلى أقصاه شملته هزة من الفرح كتلك الهزه التي شملته أثناء الحرب اليابانية الروسية ، لأنه اعتبرها حرباً شرقية غربية وإن لم تكن روسيا مثلاً صحيحاً للغربين أو للأوريبيين .

\*\*\*

### مصطفى كامل يؤلف

لم يكن مصطفى كامل يؤلف الكتب لاشغاله بالكتابة الصحفية والخطب الوطنية والسياحة في الغرب للحملة على الاحتلال البريطاني حيث استطاع . ولكنها بعد نشوب حرب اليابان ألف كتابه عن «الشمس المشرقة»، يعني بها اليابان لأنها تعرف باسم بلاد الشمس المشرقة أو الشمس الطالعة ، وقال في مقدمته: «كان البعض منا معاشر الشرقيين يقول ، ويلقن هذا القول للصغرى والكبار ، أنت أم انقضى دورها ودالت الأيام على مدينتها ومحاج الزمان وجودها السياسي وليس في وسعها التسلح بدنيّة أوروبا ومقارتها بها . وأنه لا بد لها من الاستسلام للغرب وقبول حكمه وسلطانه بلا عمل للحاضر وغير جهاد في سبيل المستقبل ، فقادت أمّة اليابان مكذبة لهذه الدعوى منادية الشرقيين أجمعين بأن طريق الارتقاء ميسّر لقصداته وأن من جد وجده وكل من سار على الدرّب وصل ، وتساءل الناس بدهشة وعجب : من هذا الشعب الذي خرج من القبور ليزعزع الأحياء بأصوات مدافعته وقتابله وحرّكات جنوده في البحر والبر ومطالب ساسته وتغلبه على الدولة التي ظنت وظنّ العالم معها أنها لا تغلب وفزوّه هذا الفوز الذي حارت فيه العقول وكادت الدنيا ترتّب فيه ، وكيف أدرك هذا الشأو في سنوات قلائل وجاري الغرب في أمور وسبقه في أخرى» .

وهذا الكتاب قد صدر قبل خمسين سنة ، ولكنه أحد الكتب القلائل التي بقيت عندي ولم تذهب مع ما ذهب من كتبنا المقتنة مرات بعد مرات .

\*\*\*

### وحافظ ينظم

ونظم حافظ إبراهيم أكثر من قصيدة في مفاخر اليابان قال في إحداها على لسان فتاة يابانية :

### الشرق قبل ٥٠ سنة .. وبعد ٥٠ سنة

من دلائل التطور في الوعي «الشرقي» سؤالان تلقيتهما على أثر ما كتبته في الأسبوع الماضي عن اليابان وما كان لها من الحب والكرامّة في نفوس الشرقيين ، وفحوى السؤالين متقارب في معناه لأن الغرض منه فهم الموقف الطبيعي للشرق كله أمّام دولة الكبيرة التي تتعرّض لمطامع الغرب كما تتعرّض لها أمّ الشرق الصغيرة ولكن الدول الكبيرة في الشرق قد تكون لها مطامعها أو سياساتها الاستعمارية ، فما هو الموقف الطبيعي لكل أمّة شرقية بين الشرقيين ؟

هذا السؤالان ، كلّاهما يذكّرني بخطاب وصل إلى من إحدى المدن السورية «يشتمعني» فيه كاتبه لأنّي أغرت عن خيبة الأمل في اليابان قبل عدة سنوات ، إذ قلت إنّها ترمي إلى استعمار القارة الآسيوية بدلاً من قيادة حركة التحرير فيها ، وتنادي بأنّ آسيا للأسيويين وكأنّها تفهم من ذلك أنّ آسيا للليابانيين .

وخلال هذه الشتائم التي تضمّنها الخطاب أن اليابان دولة شرقية عظيمة يشرف بها الشرق ، فلا يجوز لنا أن نتحمّل عليها أو نلومها ، كأنّا نسى كاتب الخطاب أن الأم التي تفتحها اليابان وتختنق حريتها أم شرقية . لو نهضت في طريق التقدّم سلم الشرق كله وسلمت اليابان في المقدمة من طغيان الاستعمار الغربي ب مختلف الألوان والأسماء .

\*\*\*

### بين التاريخ وشهادة العيان

ولم يشعر أحد بخيبة الأمل في هجوم اليابان على أمّ الشرق كما شعرنا بها نحن الذين شهدنا نهضتها وحضرنا طلائعها وعرفناها معرفة العيان ، قبل أن تصبح من معارف التاريخ .

كنا في نحو الخامسة عشرة يوم نشبّت الحرب بين اليابان وروسيا ، وكنا نتلتفّ الصحف لنقرأ فيها أخبار انتصارها في البر والبحر ، وأخبار وقائعها الخامسة حول المعاقل الكبرى في الشرق الأقصى .

\* الأخبار : ١١/١٩٥٥ \*

وكثير من عمد الريف عندها كانوا يستطيعون أن يعيشوا بغير لقب الباشوية أو البيكوية الذي خرب بيوبتهم وبلد ثرواتهم وأغراهم بالظاهر الكاذبة في غير حاجة إليه . ويحسنظن كثيراً بالدول الاستعمارية من يظن أنها أرجح عقولاً من عمد الريف في مسألة المظاهر والوجاهة .  
كلهم والله قريب من قريب .

ولو أتاك أحصيت ما أنفقته هذه الدول في القرن العشرين على السلاح وال الحرب وما كسبته من مستعمراتها لرجحت كفة النفقات أضعافاً على كفة المكاسب والأرباح .

وهذا مع سفك الدماء وإفساد القلق والاضطراب ، وتعويق نهضات التقدم والعبuran .

وهكذا أصبحت اليابان بمحى الوجاهة الكاذبة ، كما أصبحت بها الدول التي ظهرت أخيراً في المضار لثبتت «وجاحتها» ومساواتها للدول الكبار . وهكذا أصبحت إيطاليا مستعمر طرابلس ، لأنها ليست بأقل من فرنسا التي مستعمر تونس ! .

وهكذا أصبحت لأنانيا مستعمر الجاهل في القارة الأفريقية لأنها ليست بأقل من إنجلترا التي سبقتها إلى استعمارها .

ولسوء حظ هذه الدول - من طلبات الوجاهة الاستعمارية - أنها جاءت في الزمن الأخير ، والاستعمار كما كان خلال القرن الثامن عشر في دور الاحتصار ، فنكبت جميعاً ولم تستقد من استعمارها كما استفادت الدول التي سبقتها في غفلة الزمن ، مع جهة الشعوب التي نكبت بغارات الغاصبين .  
بديهييات لانبوعات

ولا أزيد أن أدعى أنتي أنتياً بما يحدث بعد سنوات ، ولكنني أريد أن أقول إن البديهييات ظاهرة لم يلتقط إليها ، وقليلاً ما يلتقط الناس إلى المحسوسات فضلاً عن البديهييات .

فمنذ عشرين سنة كتبت «رجعة أبي العلاء» وتخيلت فيها المعري عائداً إلى العالم يسبح في أرجائه بعد أن حرم نفسه السباحة فيه أيام الحياة ، وقلت عنه إنه

كيف تدعوني لا أشرب عن مرادي أو أذوق العطبا وأواسى في الوغى من نكبا أن نرى الأوطان أمماً وأباً أنهض الشرق فهز المغاربا وإن قومي استعدبوا ورد الردى أنا يابانية لا أنشبى أحدم الجرحى وأقضى حقهم هكذا «الميكاد» قد علمنا ملك يكشفك منه أنه وقال في قصيدة أخرى :

ما ذكر الأحياء لا يذكر يمر بالبال ولا يخطر فانتصف الأسود والأسر

وهاجرت من مصر طائفة من الشبان للتطلع في جيش اليابان ، وبقي منهم شاب هناك تزوج من يابانية واسمه «محمد فضلى» على ما ذكر ثابر على الكتابة إلى الصحف المصرية زماناً وبقى غيره من عاشوا هناك ولم يكتبوا إلى الصحف ، وسمعنا أن بعضهم عاد بعد حين .

من هذا وأمثاله يستطيع الناشر في هذا العصر أن يعرف مبلغ الأمل في نهضة الشرق على يدي اليابان .

\* \* \*

### محضية المظاهر

ولكن المصيبة كلها في المظاهر أو في «الوجاهة» المصطنعة التي تنخدع بها الدول كما ينخدع بها أحد الناس .

كان احتلال المستعمرات «وجاهة» عالمية في عرف الدول التي تريد أن تدخل في زمرة الدول الكبار .

مستعمرة .. أي مستعمرة .. مستعمرة والسلام .. لا بل مستعمرة في الواقع وأخرب الضروس والموت الزؤام .

وكثير من هذه الدول كان يستطيع أن يعيش بغير مستعمرات لو لا هذه الوجاهة المكتنوية التي اصططاحت عليها .

## سياسة الأحلاف

وأنجح ما كنا نخافه على أمّ الشرق منذ ذلك الحين ، سياسة الأحلاف بين المسكرين ، فكتبتنا في ذلك المقال قبل بيف وأربعين سنة . «إن المخالفة لا تؤكّد للدولة إلا عداوة من تحالفه ثم إنها لا تكفل لها صدقة من تحالفه ... وليس العثمانيون أن تلك الدول لا تعصيهم ولا تخلي عنهم إلا لصلحتها . فإنّ عنّ لها وجه المصلحة في تأييدهم نصرتهم سواء كانت معهم أو عليهم ، أو عنّ لها وجه المصلحة في التخلّي عنّهم خلّلتهم : سبّان المخالف منها والمخالف ، فخير للدولة أن تدير شرائعها مع كل ربيع من أن تقيّد بربع واحدة ، وأنفع لها أن تكسب عطف الرأي العام في أوروبا كلّها من أن تكبّد الود الظاهر من بعض حكوماتها» .

كتبتنا هذا ووددنا لو تقول الدولة العثمانية على منيتها في الشرق قبل أن ينهض مصطفى كمال لتعمير آسيا الصغرى وقبل أن يتخذ العاصمة الحكومية في أنقرة بثمان سنوات .

وكل ما تمناه لم يتظرونه تحت أقدامهم ولا يتظرون إلى أمّائهم أن يبقوا بعد انتقادهم واعتراضهم ، بضع سنوات على الدوام ، فيروا بأعيانهم أن مثالب الانتقاد والاعتراض ترتد إليهم ولا تصيبنا بشرار ولا دخان . نهم على خطير من رواد الزمن وهم يحسبون أنّهم على هدى وصواب .

\*\*\*

## خمسون سنة إلى الأمام

والآن وقد مضت خمسون سنة بين النصر والهزيمة والغزو والندم والمعذنة والنسيان يستطيع الناظر إلى الماضي أن يقول عن يقين إن اليابان قد ضلت الطريق وأنها سلكت على الطريق الخطأ ، واغتررت بظاهر الوجاهة الكاذبة ، فضيّعت في سبيلها مصلحتها الحقيقة وأنفقت ملايين الملايين من الأموال على عدة الحروب التي تتغلب بها على جيرانها فلم تربح من هذه النفقات ما يساوي عشر معشارها . ولم تكن لتربح شيئاً يذكر إلى جانب الخسارة لو أنها مضت في طريقها ولم تقطع بها الهزيمة في وسط الطريق .

واليابان اليوم ضعيفة مفتقرة إلى العون ولكنها لا تبقى على هذه الحال ولا بد لها من عودة إلى القوة والشّرورة ، فإذا عادت وجدت إلى جانبها في آسيا دولاً كباراً

«كان في أرض نيبون يتألف ويتمرّن من كل شيء ومن غير شيء ، ولم يزل مع تلميذه على حذر وامتعاض حتى هجر أرض نيبون إلى أرض الصين ، وأقاما فيها برهة بين الفتن والثورات والجماعات تارة والقطط تارات ، ولكنهما كانا أقرب إلى راحة البال وشهود الأحوال ، لأنهما كانا يشهدان في الصين جهداً يسر الناظرين أن يصل إلى قمة . أما الجهد الذي كانا يشهداه في أرض نيبون فقل أن يكون في قمة سرور للناظرين ، ولا سيما الحكماء» .

ثم يسأل التلميذ أستاذه عن انتصار اليابان وهزيمة الصينيين فيقول الأستاذ المعري :

«وما يدركك لعلّ أهل نيبون يخدمون أهل الصين بهذه الهزيمة وهم لا يشعرون؟ لقد كان هؤلاء المهزومون شتّى منخلق فجمعتهم الهزيمة فأصبحوا أمة تنضوى إلى لواء واحد ، فإذا بالمتصرّفين يخافونهم بعد همس سنوات تخبروا فيها لاتخاذ الأهة وتوحدوا أو كانوا يتوحدون ، فكيف يكون شأنهم لو تجردوا لاتخاذ الأهة متوحدين خمسين سنة لا خمس سنوات؟ ... علم الله لولا أن أهل نيبون يخافونهم ويفزعون من غدهم لما عاجلهم بالعدوان ، وما أخالهم مع ذلك أمنين عقب الأمور ...»

## وتركياماً قبل

لقد كنا نحذر هذه العقبى على بلاد الشمس المشرقة قبل عشرين سنة ، وكنا نتمسّى لبلاد الشرق كلّه أن تعصم نفسها عن غواصي الاستعمار وعواقبه فتدفع عنها المستعمرين ولا تشتهي تلك الشهوة الخبيثة التي تغريها بمحاكاة أولئك المستعمرين .

وقبل نكبة اليابان كنا نكتب في مجلة البيان - سنة ١٩١٢ - عن مستقبل الدولة العثمانية فنقول بعد هزيمة البلقان : «لو كانت الدولة العثمانية شجرة لا تبُت إلا في أوربة لحق لهم لا يرجوا منها بعد الآن ثمراً ، ولكنها شرقيّة المتبت ، وهذه أروميتها لا تزال في الشرق ، وما هذه الولايات الأوروبيّة إلا فروع منها لا يبيتها انفصالتها» .

ثم نقول : «ليس من حسن السياسة ولا يوافق الدولة أن تقرر شعوبها على الاندماج في بنيتها قوة وغصباً . والعقل العصري لا يفهم من معنى الإخلاص أن يتقيد الشعب بالولاء لحكومة تحكمه لصلحتها لا لصلحته» .

تقوم بين أم كبار لا مطعم فيها الطامع من المشرق ولا من المغرب إلا على غرار وأخطر.

ستجد الصين ذات الملائكة التي تزيد على أربعين مليوناً ، وتجد الهند ذات الملائكة التي تقارب الأربعين مليوناً ، وتجد باكستان وعدتها نحو مائة مليون ، وأندونيسيا وهي في قرابة هذا العدد والتي جوانبها أم لا تضارعها في الكثرة ولكنها تضارعها في العراقة والاعتزاز بالحرية والكرامة .

فيما كان للماضي عظامه النافعة فاكبر العظات أن تعلم الأم الآسيوية الكبرى أنها مسؤولة عن سلامه القارة كلها والا جنت على نفسها وعيشت بسلامتها ، ونکصت على عقبها ولم تتتفق بتقدمها ونهوضها إلى مرتبة الدول الغربية العظمى .

وخمسون سنة على نهج الهدایة تصنع المعجزات وتتأتى بالأعاجيب .

قارة تساند في وجه المطامع الغربية ، تكف تلك المطامع عنها وأنف الغرب راغم ، وتشجه بالعالم الإنساني وجهه الأمان والفلاح ، وتسلم الزمام من يد الحضارة الغربية التي أوقنت عليه فلم تؤد الأمانة لأحد ، ولم تحفظها نفسها وهي تحسب أنها حافظتها أبداً دون سواها .

## البحث عن سر الحياة .

حمام الثلاث (اللى يرجع العواجيز بنات)

### ولادة العذراء

بعد تهديد متعدد أعلنت الصحف التي تتطق بلسان الفاتيكان أن قداسة البابا (بيوس الثاني عشر) رأى السيد المسيح في يقظته أيام مرضه الأخير الذي عرض له منذ عام وشفى منه بعد أسبوع .

لا تزيد أن تفسر هذه الظاهرة ، ولكننا نعتقد أن نظر صاحب قداسة حجة وثيقة في مسألة يهتم بها الكثيرون في هذه الأيام .

ترى أية صورة للسيد المسيح كانت أقرب إلى الصورة التي نظرها صاحب قداسة وعرف أنها صورة السيد المسيح ؟ .

إن قداسة البابا قد رأى من هذه الصور التي تخيلها كبار الأقطاب في مختلف الأمم والأزمنة عدداً لم يره غير القليل ، وليس فيهم من يضارع قداسته في الحكم على جودتها وإنقاذه من الوجهة النفسية والفنية .

رأها قداسته في متاحف الفاتيكان ، ورأها في المعابد التي زارها والمراجع التي اطلع عليها ، وقداسته معروف باطلاعه الواسع على موضوعات الفن والثقافة ، وعنده مع هذا الاطلاع إجلال لمقام السيد المسيح لا يسمو عليه إجلال .

فإذا كانت الملامع التي نظر إليها قداسته تقارب صورة من الصور التي اجتهد أقطاب التصوير في تخيلها فنظرته ولا شك حجة قوية لترجيح هذه الملامع على غيرها ، وتغليب الصورة المختارة عن مئات من الصور التي تختلفها .

وهذه الظاهرة - ظاهرة الرؤيا البابوية - تأتى في أوانها على الأقل ليستفيد منها المشتغلون بعرض التاريخ المقدسة على اللوحة البيضاء ، أو المتسائلون عن إمكان عرضها على المسرح في الروايات التمثيلية . فإننا منذ شهرين نسمع الأسئلة الكثيرة في هذا المعنى ، يسألها الخبراء الفنانين ورواد معاهد الفن والتمثيل .

\* الأخبار : ١٢٣ / ١٩٥٥ .

## صورة محمد عليه السلام

ولقد سمعت الأستلة في هذا المعنى في سياق الكلام على صورة النبي محمد عليه السلام .

فقلت إن الواقع هنا أقرب إلى إلينا من الخيال .

والواقع معروف مستمد من التاريخ الذي لا خلاف عليه ، سواء منه تاريخ النبي و تاريخ صحابته المقربين .

لقد كان حول النبي رجال من طراز أبي بكر و عمر و علي و عثمان و خالد بن الوليد و عمرو بن العاص وأبي عبيدة الجراح و معاوية بن أبي سفيان .

كان كل من هؤلاء الرجال يقيم المالك و يقود الجيوش و يهزم القياصرة والأكسرة و يحسن ولاية الأمر في وطنه و غير وطنه .

وكان منهم رجل كعمرو بن العاص يقول إنه لم يجرؤ على أن يملا نظرة من وجه محمد .

وكان منهم رجل كابن الخطاب عاش إلى آخر أيامه وهو يعيد كلمة « يا أخي » لأنها سمعها مرة من فم محمد في موقف دادع .

وكان منهم رجل كمعاوية يحتفظ بقلمة ظفر من أصبع محمد ولا يفرط فيها وهو على سرير ملكه .

ولولا أن « شخصيته » تعز على التمثيل لما دانت له هذه الشخصيات زعام عشرين سنة ، ولا يقال إنها هيبة الإياع وحده فإن هذه الهيبة لا بد لها من هيبة « شخصية » تناسبها وتناسب قدرها الرفيع في نظر المؤمنين .

وقد رأينا على اللوحة البيضاء من حاولوا تمثيل صلاح الدين الأيوبي فلم يقلعوا . فهل تراهم يفلحون في تمثيل ذلك الرجل الذي لا نظير له بين الرجال ؟

لا نخلهم يفلحون ، ولا ضير عندنا من تمثيل أناس من عظماء الإسلام في مقام الدعوة والتكرم ، فاما الشخصيات المقنسة التي تعلو على ذلك كثيرا فالإشارة إليها من بعيد أوقن للفن وللمقام ، ومن ظن غير ذلك فليحذرون ماشاء على سبيل التجربة في موقف أو موقفين ، ثم لينظر ماذا يرى من ظنونه بعد ذلك .

## محاكمة الخديو عباس \*

قرأت اليوم «محاكمة الخديو عباس» منقولة من الأوراق التي احتفظ بها سعد زغلول وبقيت محفوظة إلى الآن .

وتساءلت أخبار اليوم : ترى لماذا احتفظ بها سعد ولم يكن وزيراً أثناء نظر القضية ؟ ومن وفاء حق التاريخ أن نسجل هنا ما نعلمه عن هذه القضية التي كان لها شأن خطير في تاريخ مصر الحديث ، أوشك بعضنا أن ننساه .

إن سعداً احتفظ بتلك الأوراق ، لأن حساب دائرة سيف الدين ودائرة صالحة هام التي حذف اسمها من الأسرة الخديوية - كان سبب استقالته من وزارة الحقانية ، وهي الاستقالة التي تذكر بين أشرف الذكريات في تاريخ الوزارات المصرية وغيرها من الوزارات .

إن لورد كتشنر يظهر أخيراً بهظمه الحارس الغير على نزاهة الحكم مع أنه كان يتعرض لها من مبدأ الأمر لحماية صاحبه حسين محروم باشا وشقاء حجازته من الخديو عباس . وقد كان سعد وزيراً للحقانية حين راجع أعمال المجالس الحسينية فلاحظ في أوراق الدائريتين كثيراً من الخلل وسوء التصرف ، وأراد أن يحيل الوصي حسين محروم إلى القضاء فوق له لورد كتشنر وطالبه بتقدم الأدلة على الخلل قبل اتخاذ إجراءات المحاكمة أي طالبه بوضع المركبة أمام الحصان كما قال له سعد . لأن حجز أوراق الدائرة جمعياً أول عمل من أعمال الإثبات .

وابي ضمير سعد أن يسكن على الخلل الواقع أمام عينيه فاستقال بعد مقابلة عاصفة بينه وبين اللورد الحاكم بأمره ، وقالت دائرة المعارف البريطانية وهي تروي القصة : «إن أدلة إدانة زغلول لم تكن كافية ولكنها كما وقر في الأذهان كانت صحيحة في جملتها» ..

أما حماسة كتشنر للدفاع عن حسين محروم باشا فسرها معروف عند الكثيرين ، وبعض ما يقال عنه إنه كان يدير له رحلات الصيد على اختلافه وصحبه في تلك الرحلات ... ولا نعلم بين مفاخر النزاهة واستقلال الرأي مفارقة أعظم من مفخرة الرجل الذي يناضل سلطة العرش وسلطة الاحتلال دفاعاً عن حقوق لا يدرى بها أصحابها في خارج القطر ، ولا يمكنون المطالبة بها لو علموا بتلك الحقوق .

## من تاريخ عباس وكتشرن

«أنت مجرد قراءتي لتلك القصة قامت بعقلى شبهات ، ولاحظت فى الواقع للسرودة تناقضات أنهيتها فى خطاب إلى الأستاذ مصطفى أمين ثم قرأت تعقيبكم فاسترحت خصوصاً حين قررت أن محروم باشا كان صديق كتشنر فقد كان بين ملاحظاتى على القضية صعوبة التوفيق بين القول بأن الخديو أراد إرضاء كتشنر بتقدم محروم للمحاكمة كبشأ للفداء ، وبين ما أثبته حكم البراءة - أن محروماً هذا كان قد شكا إلى كتشنر تصرفات الخديو . فإن المعنى الحالى من هذا أن محروماً ذو علاقة باللورد .. ولكننى لا أكتب هذه السطور لمجرد الشك إنما حفزنى إلى كتابتها رغبتي أن تفضلوا بزيادة القضية إيضاً وأأن تفردو لها فصلاً خاصاً يجلو على الناس هذه الصفحة الوضيعة من صفحات سعد وينهى من نفوسيم هذا الوم الصارى عنى غير المحتلين على العدالة ونزاهة الحكم» .

### نزاهة غير نزيهة

والاستاذ زيارات على حق في ملاحظاته وفيما استزاده من البيان عن دعوى الاحتلال . لأن الواقع المستفاد من جميع القضايا الكبرى التي تعرض لها قياصرة الاحتلال باسم نزاهة الحكم - أن هذه النزاهة لم تكون نزيهة على الإطلاق وإنما كانت سبيلاً للدعابة أو لتفطئة الحقيقة التي تمسه وتس أو لثك القياصرة ، وقد كان أنة هؤلاء القياصرة - من الناحية المالية - لورد كرومز الذى قضى في الوكالة البريطانية نحو بربع قرن لم يكن له فيها دعوى غير النزاهة والتزويه فيما يدور حول العدالة والمساواة ، ولكنه لم يكن يعرف عدالة ولا مساواة حين تقضى الدعاية المغرضة قضاءها عليه في أظهر الأمور .

ومن قبيل ذلك أنه قام وقعد لاتهام «المشاوى باشا» بضرب بعض اللصوص الذين سرقوا ماشية الخديو عباس في جواره ولم يسترح حتى صدر الحكم بحبس

نشرت «أخبار اليوم» بياناً عن القضية التي نظرت في أوائل أيام الحرب العالمية الأولى وسميت يومئذ بمحاكمة «الخديو عباس الثاني» لأنها كشفت عن خلل في حساب دائرة سيف الدين ودائرة صالحة هام منسوب إلى الوصى عليها «حسين محروم باشا» ثم قيل إن لورد كتشنر هو الذي أمر بالتحقيق والمحاكمة إظهاراً للغيرة «الاحتلالية» على نزاهة الحكم والإدارة .

وقد اقتبس «أخبار اليوم» بيانها الذي نشرته من أوراق مودعة بين محفوظات الزعيم الحالى «سعد زغلول» وعلمت :

لماذا يا ترى عنى سعد بحفظ هذه الأوراق مع أنه لم يكن وزيراً في أثناء المحاكمة ؟ .

وكانا نعلم شيئاً عن هذه القضية ، سمعنا بعضه من سعد وسمعنا بعضه الآخر من للمعاصرين الثقات ، فكتبتنا موجزاً ما نعلمه وقتنا إن سعداً قد احتفظ بالأوراق لأن هذه القضية كانت سبب استقالته المشرفة من وزارة الحقانية ، بعد اصطدامه بالخديو عباس وباللورد كتشنر معاً أثناء التحقيقات الأولية التي أجرتها على أثر مراجعته لأعمال الدوائر وال المجالس الحسينية .

### سؤال مؤرخ قانوني

وصديقنا الفاضل الأستاذ «عبد الله حسن زيارات» الخامس مؤرخ وقانوني ، يعنيه تاريخ سعد زغلول خاصة في القضاة لأنه كتب عن قضاياه التي نظرها كتاباً













































































































































































































































































